

— صحفيان تريد مقابلة اختك لتجري معها حديثاً ...

— اهلاً وسهلاً ... نفضل ...

ثم قادنا الى غرفة ضيقة على عيين الباب ، اصطفت على جدرانها خزائن الكتب ، افردت احداها للكتب الانكليزية فقط ... وعلى طاولة هرمة تكسدت اصداف بحرية كبيرة ، واحجار مخرومة ، وتماثيل عليها مسحة من القدم ... كل ما في الغرفة يوحي اليك بالبلد ، حتى الستائر الازرقية واللوحات الملقة .

دقائق معدودات عادت الإخت بعدها لتستأنف حديثها ، ونهت من الباب قائلة : هنا .. هنا... وفي هذه الغرفة بالذات كان يجتمع ادياء الطليعة في الشام ... على هذا الكرسي كان يجلس الشاعر الكبير خليل مردم بك ، وعلى ذاك المنفذ كان يجلس الشاعر ابو سلمى (عبد الكريم الكرمي) واخوه المرحوم احمد شاكور ، وشفيق جبري ، وفارس الخوري وغيرهم وغيرهم ... اين هم الآن ؟ اين نغرفوا ؟ كيف اتفصوا عنا ؟ لم يعد احد يطرق بابنا ، بابنا الذي ما اعتاد ان يستقبل غير الادياء لكن ...

وما اكثر الاخوان حين نلدهم ولكنهم في النأياب قليل

الف شكر لكما تسالاني عن أختي المنسية ... أختي التي جهرت بالحق يوم كان قول الحق دونه الموت الزؤام ، وزارت السجن ، واتقدت الاحرار من جبال المسائق ... انها اليوم متروكة ، مهملة ! ... وعلى هذه الصورة ودعنا الأخت ، دون ان نلغف برؤية ماري ، ولما استأذنت بمشاهدتها فوبلت بالاعتذار ، ذلك لان رؤية الاخرين تؤذيها ، وتترك في نفسها نوبات الحقد والغضب والكراهية !

ثم وحت الردد على ذلك المنزل الضام ، يقوس ضلوعه على فتانين الشين في خريف العمر ، ويخون عليهما ، كيف لا ، وفيه تربنا مع عدد من الاخوة والاخوات كلهم نالوا ... هذا الذي مات في ميعه الصبا ، وتلك التي انطفت اخبارها في القبره .

وإما يوم البحث على النكتة ان تقدمي لاختها الادبية ، ولكتها اعترفت هذه المرة بـ « استغفار » واعادت على مسمي النعم القديم نفسه ... ولكي لا تسد في وجهي كل منقذ زينت لماري ان تغادر غرفتها الى غرفة اخرى في البيت المقابل ... وكان عليها ان تجتاز صحن المدار لتصلها ، فربنا من حيث لا نراي . وكانت تلك اول مرة ارى فيها ماري عجمي في الاربعة والسبعين من عمرها .

ثم التفتدني الى غرفة اختها ، فاذا ثم منظر عجب ، خلق في ذهني مشرات الاسئلة : سرير معلق كالارجوحة ، وضع عليه فراش ولير ، تمام على الدار تهرمت عيناها على الاءاء ، وفي فجوة الشباك الكبير بنصب جهاز تلفزيون ، وقربه مذابح متوسط الحجم ، وعلى الديوان المقابل انتشرت مجلات قديمة ، فيها احاديث وروايات كتبت عنها ، بينها اعداد قديمة من مجلتي « المروسي » التي عاشت احد عشر عاما متقطعا ... كلها تريد ان تسترجع ماضيها الداهب ، وتستعيد ذكرياته الخنوق ، وتود لو يعيش اسمها في يومها ، ولكن عيناها ان يعود الاسم ، فما مفسى فسات !

ليس في الامر غرابية ، فالانسان عندما يبلغ هذا السن ، ويدركه الكبر ، يرتد منكفئا الى اقصيه ليجدنا عنه حديثا متعنا ، وبخاصة اذا حرم ، فيما بعد ، مما كان له في صباه ، كتبه يمتنى ان يحافظ على مرحلة واحدة من مراحل الحياة ، هي مرحلة الغطاء والخشب والثناء ، مرحلة التفساة ايام كان العود رطيبا ... ان الزنداد الى حالة من حالات الطفولة او الشباب شيء معروف في علم النفس عن البشر ، منها تنزل بهم التوازل ، ونحيط بهم الالتزام من كل جانب ، فلا يرون مهربا غير اللجوء الى هذه العملية التراجعية .

يا ... كنت ، وأنا انامل صور اللوحي في كل زاوية من زوايا الغرفة التي تبعث منها روائح الطعام ، وانظر بقايا الاكل متناثرة على منضدة مطبخها الصغير ، ضرب عليه بستان ، اقول كنت وأنا اعمل



عيسى فتوح

ماري عجمي

بقلم عيسى فتوح

علق يدهني ، وأنا طالب صغير اتلمذ على كتاب « الشوق » اسماء لاديبات من لبنان وسورية ، ما زالت صورهن تطبع في ذاكرتي حتى اليوم ، لا ادري لماذا ؟ هل لان الرسام كان يجيد في ايداعها وتلوينها او لان النصوص التي كانت تختار لهن مشوقة وجذابة ؟ ... فكمما اتس لان تلك الصفحات التي عرفتني بكل من : مي زيادة ، ووردة البازجي ، ولبيبة هاشم ، ونجلا ابي اللصع ، ونظيرة زين الدين ، وسلمى صائغ ، وعاري عجمي ... وهم كانت فرحتي كبيرة يوم عثرت على كتاب « النسمات » لسملى صائغ ، وعلى رواية اسمها « قلب الرجل » للبيبة هاشم ، فافنتيهما افتتاه فشين !

وراحت الاعوام تنظوي ، وتزيديني الحاحا على المعرفة ، اسقط نتاج المرأة الادبي باهتمام ، على حداثه سني - حتى عام ١٩٥٥ اذ اتبع لي ان احضر دروس الشهادة الثانوية في معهد قريب جدا من منزل الانسة ماري عجمي بدمشق ، فاستأنف في خاطري ذكريات الطفولة مع « الشوق » ، وكفز من بينها اسم ماري عجمي !

يا للعجاجة القريبة الحلوة تغزو قلبي ، فتحملتني على البوح بالامر لصديق دمشق يحب التقني ، ويوى التابعة ... وما هي الا ساعات بين ولادة الفكرة وطرحها ، حتى كتبت - انا وهو - نزع بالمطرفة بابا قديما من تلك الابواب التي يكثر وجودها في « الحارة الجوانية » من زقاق « طالع الفضة » ، فتخرج اليها امرأة قصيرة القامة ، بيضاء الشعر تسالنا عن مرادنا ...

— هل حضرتك ماري عجمي ؟

— كلا ... انا اختها ... من انما ؟

نعم ... ماتت ماري عجمي في ٢٥ - ١٢ - ١٩٦٥ بدمشق ، ماتت دون شجيع او جلية ، حتى انه لم يرافقها الى القبرة سوى ١٦ شخصا من اقربائها ليس بينهم اديب الا أفراد الشايب .

ذلك ، اسع الانحان الشجيرة نفتحتا تأمل الشاعرة العجوز ، وهي تلمس مفاتيح البيانو ... وهكذا تبدد الالم الشيوخة كل يوم ... ولدت ماري عيسى في ١٤ ايار (مايو) سنة ١٨٨٨ من أسرة حموية الأصل ، نزع جدها الى دمشق منذ مئتي عام او اكثر . وتلقت علومها في المدرستين الروسية والارثوذكسية ، الى ان نالت شهادتها في الثانية عام ١٩٠٢ ، وبعد ان مارست التعليم عاما وحدا تخصصت بالكتابة الاميركية في بيروت لتدريس التعريب ، الا ان حالتها الصحية لم تسمح لها متابعة الدراسة ، فعدت الى دمشق لتلقى اهلها كاسفة البال ، فلكة الخاطر .

ونظفي فترة ، واذا ماري استاذة للادب العربي في معهد الفرنسيسكان ، تدرس طالبات الصفوف العليا المادة التي شغفت بها منذ ان شبت عن الطوق ، فظهر من سلامة المتطق ، وقوة العبارة ، وعمق التحليل ، واتانة العرض ما جعلها تنلقل قلوب تلميذاتها ، وتأسر اسماعهن ، وكيف لا تؤني ماري كل هاليك الصفات ، وهي الادبية الذوقية ، والشاعرة الرفعة الحس ، اذا سمعتها تتحدث عن المعري او الجاحظ خلت نفسك امام استاذ جامعي افني عمره في الدرس والمعالجة والبحث والتقييم . لقد نالت نلس ماري ان تتعرف الى بلد غير بلدها ، وعادات غير عاداته ، فسافرت الى العراق مع من سافر لتتابع هناك دروسها التي بدانها في دمشق ، الا ان المقام نيا بها ، فهاشت فيه سنوات ، لم تطل ، ميزوجة بالصدق والندس والكيد ، ليس لسبب الا حسد بني قومها في الشام الذين ساهم ان يروا ماري تلقى الاكرام ، وتناول يسرعة حلقا وافرنا من الشهرة والاعلية ، ولذلك فكلت راجعة لنحل في نفسها شخشا وتاقل من الفيلب التكموم ، والالم الصامت ، والوردوة العذبة ، وانزوت في بيتها مقفلة على الاشتراك في الجمعيات النسائية والخيرية ، كانها لم تكن بالاسي القريب بنت دمشق المناضلة التي عرضت نفسها للذلال مرة من اجل شعبها الجاحد .

لم تقتصر ماري على تعليم بنات قومها يوم لم يكن في الشام تلميها « امرأة تحسن الاملاء والانشاء بله حمل القلم » بل شاركت في التلمية النسائية والادبية بمجلتها « العروس » التي اشنتها عام ١٩٠١ بعد ان نظمت جميع العنايت ، واولها عبة والدها التي كان يقتضونها « دعي هذه المجلة يا ابنتي ، فقد كانا الله سر الاستجداء والهوان » ما دام الاب يدب في بلادنا ما يبرح من قبيل الاحسان » وحملت ابيها نفسها لا تنتظر العون من مخلوق الا دابها وعلو معنها ، تدعو من ورائها الى تحرير المرأة وتثقيفها ، ورفع شأنها ، وتسدد فيها الطمن للمستعمر التركي مرة لو مرة ، غير هياة ظم الطاغية جمال باشا ، ولا مكتونة بمشائفة التي كانت تززع الساعات .

عاشت « العروس » اربع سنوات لم توفقت بسبب نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ولانها رفضت كل معونة يقدمها القاصب ، وامتنعت عن قبول اية مساعدة تهدف الى جعلها يوقسا بنفخ بانواق الطلقة ، وميعة بركونها للوروس في مآربهم الخفية ، بينما عاشت صحف ماجورة اخرى على هذا العون الرخيص ، تفرق اصحابها بالتممة السابقة ، والترف الباذخ ، ولو تبعت دروبهم الموجة لكان لها من مجلتها خير وفيير .

كان ماري التي حملت ابيها هذه الرسالة ابنت ان تنام على ضيم ، فما كان يدب شيع الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨ حتى عدت مجلتها الى الصدور ، فتناسها لقمة العيش ، ونسقيها ذوب العينين ، آية هذه المرة ايضا ان نفتح فيها لريز بابنها من طرق غيسر مشروعة ، محققة فيها قول عنتره الميبي :

ولقد ابنت على الطوى واطله حتى اتال به كريم الماكل

ونروي ماري لقصة هذا التابي عندما استعمل المستعمر الفرنسي - وبرت المستعمر التركي - هذا الاسلحة في سمره الفصائل القتل : « بعد ايام قليلة انقضت على استيلاء فرنسا على دمشق جامتي شرطي

برفقة يدعوني فيها رئيس الوزراء الجديد الى اجتماع اراد عقده ، فخططت عني كلمة « تلبفت » وابنت ان الي الدعوة ، وبعد انعقاد الاجتماع سالت عن القصد منه ، فقيل لي ان مدير ادارة المطبوعات الفرنسية خلب في العصور ، وهم الكتاب ، وعلمهم (كيف يكتبون) ووزع عليهم ورقا بلا يمن ، وودعهم بالمساعدة ، ولم يمر رح طويل على ذلك حتى جعل احد معارفي يتردد الي مساء محالوا افتاعي : باتي اذا هنتت لفرنسا ، واتشأت المصنوع ، معددة الاصلاحات التي تقصد الانتداب علينا من اجلها ، فزت باجر شهري ضخم من الذهب الهواج . وشهد منه ذلك بعض معارفي ، فحاولوا مساعدته على افتاعي بالبول ، ثم طفقوا يسخرون معه مني لاصراي على الرضى ، الى ان فاجانه يوما بقولي : ما هي الاصلاحات التي تريد ان اكتب عنها ؟ قال : على ان اتيك بالكتابة مرة بعد اخرى ، وعليك افتاع القوم بها شافها وخفاية وكتابة . قلت لتتجز فرنسا اولما ما تعدنا به من الاصلاحات ، فارتسم بذكرها مجانا ! فكان جوابي له آخر عهدي به .»

عاشت مجلة العروس في صدورنا الثاني سبع سنوات حتى توفقت نهائيا عام ١٩٢٥ ، وبذلك يكون مجموع السنوات التي صدرت فيها احدى عشرة سنة ، فقاب بقياتها كل نشاط صحفي للمرأة في سورية . ولنا كل الامل ان تتألف هذا الصيب سيدة او آمنة ابويت همه ماري وعزيمتها لسد الفراغ الذي كانت تسده .

لقد رزقت ماري موهبة شريفة فلة قلما نرى مثيلها عند شاعرات اليوم ، ولولا انصرافها للصحافة احدى عشر عاما ، وللتدريس ومناهضة الفاصيين ، لكان لنا من فريحتها القياصة اكثر من ديوان ، ومع هذا فان ما نظفته من الشعر يربو على ما كتبه من النثر ، او يعادله ، بعضه سرق ، وبعضه - وهو قليل - نشر في مختارها التي اصدرتها الرابطة الثقافية السنية بدمشق ، وبعضه الثالث ما زال مطويا بعلوه القلبي ، وينظر يدا امينة مظلمة تزحزحه من مكانه ليري النور .

ان شعر الماري يشهد ان يكون القاسم المشترك الاظم للمختارات التي بين ايدينا ، فدمت التي الهمت بيطيبتها الفنانة اكثر من شاعر زارها ، او عاش في احضانها ، من البدعي ان تعد شاعرتها الذوقية بالاف نظارة العذبة ، واذا هي لم تفرح الى الفوفة ، فدارها الفيحة الشجرة غارة في قلب غوفة ، تزدهي بالورد اشكالا والوانا . ومن هنا كان للربيع في شعرها اكثر من قصيدة تذكر فيها الشام التي لربط - في لذهنا - بالزهر والميرير والشجر والفلال والثمار :

خل اللواصج والفكر
وامبرج بوجبات الشكر
حيث الربيع مخيم
والوج يعيت بالسدور
معال اللجين يمانه
فومن احب لنسوده
اشهى السي من اللا
انا اغشق الانهار ما
اهوى الخزام وما روت
واحب ترسرة الشوا
من لا تشوقه النسي
جهل الشوقه وفنته
وغدا كفصن قد لذي

وهي اذا تصف الربيع لا تنسى ان تذكر قومها القاطنين بان يربوا من رفاهم ، وينفصوا من جوفهم آثار النوم ويستيقظوا من سباتهم العميق كما يستيقظ الربيع بعد الشتاء . فان هم من مجدهم القديم ، وتاريخهم الحافل بالامجاد والبطولات :

بقا فو اينس بريكمس
اين الصفاء واين معبد
ليست وباصكم الحدا
اين الروائع والفرد ؟
اين القديم وما هو
د اسي على حظ عشر

لم لا تصود مع الربيع
يخسر فيه رجساًؤه
ومن يمن في اوصافها يدرك اعتمادها الكبير على المزيّنات دون
الخلاجات والتنبّهات والتأثرات التي تعدها فيها رؤية المناظر الخلابة ،
فهى بهذا واصفة وضعية ترسم من الطبيعة ما يبدو لعيناها الباصرة
فقط . وشعرها مدى لاجاب العين ، وليس صدى لاجاب القلب
والنفس ، كلها لم تدرك حى الطبيعة ، شأنها شأن اكثر الاندلسيين
وكبار خلاجات وابن حمديس وغيرهما ، وبقرها منهم انها تهتم بدلاياجة
القفلية ، والتزييق الكلامي اكثر مما تهتم بتعميق الفكرة ، والفوص
على المعاني ، كأنها تريد ان تظفي فقر هذا بهجرة ذلك ، عذرها انها
عاشت في اعقاب عصور الانحطاط التي اقامت بناء اللغة شامخا قولها:
نصنا الزوى عنه رداء النام
والقى عليه وشاح الزهر
افاحسوا للربيع المقام
فقد اجبل الموكب المنتظر
على السهل منه بساط نصير
توشى بلهى فنون الخيال
تفرق لى لجين الفدير
لقد حشد الزوى جيش البديع
وزاد الحماى احمرار الشقيق
وما وفا السود ذيل الربيع
ولكن حياة سرت في العروق
ومن غريب الصدف ان تلقى ماري في احدى قصائدها التي تصف
فيها الربيع مع شوقي ، فيقع الخاطر على الخاطر ، كما يقع الحافر
على الحافر ، وتتفق القفوفتان بالوزن والقافية والوصاف والتنبّهات:
يقول شوقي :

مرحباً بالربيع في ريعانه
وربما الزمان في مهرجانه
زفت الارض في موكب اذا
نزل المهل حامت البثر يمني
عقري الخيال زاد على الطيف
صيفه الله ايسن منها وفاتيل ومنقاسه
وتقول ماري عجمي :

مرحب الزهر في ندى جنانه
طربا بالربيع ان هو غنى
لم يغب وجهه الجميل ولكن
اجل السوسن المشمم يبدي
مرق الوجد عن سناه نقابا
ان ما اخذه العفاد على شوقي في هذه القصيدة ، من انه وصف
الربيع وصفا خاليا من كل احساس « فلم يهتم بالالهام والاصداء »
ولم يمت بسكانها الغفيا ، واصطاد الاطياف والارواح ، وتصوير
تزعزعة التسود ، وخفتات الاحساس ، واشباه هذه الاشياء التي يشغلها
الربيع ، ويعطى كل شاعر منها بمقدار « اقول ان ما اخذه العفاد على
شوقي يمكن ان نأخذها هنا على الشاعر » ، لان الشيء الوحيد الذي
كان يشغلها عند النظم « هو الايمان بتنبّهات ، تقف العين عندها ولا
يقف القلب ، تومض في افق النفس لحظة ، ثم تغيب كما شئت منها
لم يكن ، فالبراعة - كل البراعة - ان يقال عن الزهرة ما هي ، لا ماذا
تنبه ، ما دامت عملية قرن الاشياء بنظائرها من السهولة بكمال .

ومهما يكن من امر الشاعر بولمة بالطبيعة ولما غريبا ، حتى
لتمتني دائما ان تمر المدينة وموضعاها ، وعواهلها المشجونة باليفس
والكرامية تمتعش في احضان الرضا ، تام وتصعد على طريق
المصافير ، وهيئة التمام ، تداعب الزهر ، فيرسل الزهر غيره ،
وتدعو الفرائس ليكون رسلها الى الجيب البعيد ، تحمله شوقها
ولهنها وحيتها... ومن اخف من الفرائس لطير ويكون الرسول الامين :

ما رايت الفصن الا
اتسره اذا جنح
ليت لي عشا هنشأ
وهزار السدوح جاري
كساد لبيبي ان يطير
من خفوق وذفير
عند سفح وقدير
يملا الجو صغير

وفرش الحقل من رسل الى الخلد الاثير
افطح الافاق شوقا في حمى البند المير
كلما داعبت زهرا
ارسل الزهر العبير
ان تلاحظ شافية هذا الشعر ولطافته المرفقة ، يتسلل مصحوبا
بموسيقى كاتلية ، عذبة الجرس ، جميلة الوقع في النفوس ... ان
فيه طافة غنائية هائلة ، مصدرها هذا القلب الذي اوتي الفن والالهام
صفيرا ... اياك في ان نصيح السمع لعزف الريح وسقسقة الجداول ،
وتقرير الصافير ، وحفيف اوراق الشجر تداعبها الانسام ، لتمتلك
اكثر طاقة شعرية وموسيقية ؟

سالوا الشاعر المهجري الياس فرحات : عن اخذت القريض ، ومن
تعلمت النظم ، وابن درست العروض وتلقيت البيان ، وانت لم تدخل
المدارس في طلب العلم ؟ فكان جوابه :

فقلت : علم القريض صيبا
عن الطير وهي تقني السحر
وعن خفلات اطل التسيم
بصر فيشفي عليل البشر
وعن حركات مياه الجداول
شوق الجلامد بين الشجر
افسأل الشاعرة بعد هذا من اين لها كل هذه الغنائية ، ونحن نعلم
ان الطبيعة سيدها الشعراء ، واستاذة الفنانين ، وربة المهمين ... من
هنا ندرس سر ولها دراسة الصامتة ، حتى تعتبر اقتراس الارض ،
وشرب عذب المياه ، اطيب العيش عندها :

واطيب العيش اقتراس الترى
بهر في السحاب
في ظل دوح عابق بالندى
بهتر في الصباح بالندى
فالذا طوبى هذا اللون من شعرها ، برز الينا لون ثان الصن بالنفس ،
والهرب الى الطبيعة الفيزيولوجية للعرضة من اي لون آخر ... فالحه
خلق الشجرة لتزهر وتثمر - وكل شجرة لا تثمر لمرأ جيدا تقطع وتلقى
في التان كما قال السيد المسح - وخلق المرأة لتجيب الاولاد ، فاذا
حزمت نعمة الامومة ، استخالت نفسيها ، وتغير مزاجها ، الا اذا
استطاعت ان تصعد فوقها القوية في آفاق الفن والادب ، والهويات
الآخرى ... وقد تنصّر هذه المجالات كلها عن امتصاص تلك البيوت ،
فتقع عندك فرصة الاشراس النفسية ، ومن بينها « جنون العواص »
كما حدثت لي وانا في اواخر ايامها ، ولا نستبعد ان الامر نفسه وقع
لماري عجمي التي حاولت ان تسعد بالاطفال ، ولكنها لم تجد حولها غير
اطفال القرياء :

هم الاطفال في الدروس حلوا
كصفو الراح في كأس الشراب
خفاف كالطيور اذا اطمأنوا
وان جزوا القضا اثر التهاب
خيماهم على جنات عدن
وماؤهم على متن السحاب
وتزعهم الهوى واللفظ رد
وجهم هوى اهل اللباب
ولذلك لا غرو اذا رايها الشاعرة تجزع على الاطفال ، ويعضاها
ان يعصيهام مكره ، وتمتني لو في استطاعتها ان تقدم اطفال الانسانية
جمعا ... هذه الاحاسيس نفسها هي التي جعلتها نصف اليتيمة
فتعبد ، وتنف مع الرضا في طيبة الشعراء الانسانيين الذين وسعت
قلوبهم الكبيرة يؤس التامى والارامل ، واثات الجروحين والتامسين
والكوكبين .

وبراعة ماري في انها استطاعت ان تنقل الينا حركات الطفلة اليتيمة
وهي تسال الوساد عن غاب طبعه ، وتلقبها بمرارة ، لعل فيها شيئا
من ذاكى مبيره ... ولكن لا احد يجب السؤال غير الخيبة ، وغير
الفرح :

تاتي الوساد تدعوه مقلبة
هنا... بنام حبيب القلب والدها
هنا... فراغ... مالذا ؟ اين طعمته
اين العناق الذي ذابت حلالاته
اين التسفا الذي تصبو لقلبتها
امات (بابا) فلا اقل له اترا
هدب الوساد وقد خابت امانها
هنا... الاغاني التي كانت تغنيها
وبعن الليل والاشجان تكويها
اين اللراع التي كانت توفيقها
ما للمغاني سكوت لا تتاجبها
وهل توارى عن الازهار شادها

لم يترك الموت حيناً منه أو كيذا
نفق بالقر الزاهي بظلمته
وبالبراسيل نالو مفردة
وادمع الفجر تجري فوق وجنتها
إن ميتاً لا ندى بالدمع تشمر كهذا ، عين لا تعرف الحزن أبداً ،
وان قلباً لا يرق وينفطر ، قلب من رخام أو جليد أولى به أن يكون
مفككاً للماه ، من أن يكون قلباً إنسان يحس ويشعر .
ولكي تكمل ماري هذه الحلقة من الانعطاف النفسي ، والمشاركة
الوجدانية للبياني والاطفال لا نسى أن تراق الفلاح إلى حقله ، والجندي
إلى معركته ، ترسم لوحة لهذه الأنبياء الكبيرة ، والمهام الجسيمة ،
والمسؤوليات العريضة التي يسطع بها كل منهما ... انهما عماد الأمة
- كل أمة - ودمعها الوافية ، وحصنها الحصين ، وقلوبها الشامخ ،
ومع ذلك ترانا نعيم الفلاح بخصونة كفيه ، وفسادة جلده الذي حرته
اشعة الشمس ، ونشئ أنها سقته العافية والنفاسة ، وقلوب الصبر ،
وشدة الاحتمال ... تنبه عليه ، ويا ليت لنا مثل صفاء باله ، ونقاء
قلبه ، واطمئنان نفسه ، وسلامة طويته :

لئن خشنت منه الديان فكف
سماح ، وان الجود بسط الأمان
يتبه عليه المتفرون بما لهم
وليت لهم مثل ابتسامة عامل
فان افروا لم تعرف الهدى عينه
وان بطروا أتى على خير واصل
وأحلى تشديد في الليالي سماعه
تشيد غيوم الاق تقهي بوابل
هو الساعد المختول لا يعرف الوئى
هو الهممة الفصاء دون تهاول

أما الجندي فكفاحه ادعى أمر ، وذرره في حفظ كيان الأمة اعظم
وأجل ... فلماذا تقول بالذي يجعل مغاليت الموت يديه ، واشتمال
الطلق يعينيه ، ويرغمي تحت الشظايا تهر على كائيل ، فيخني في
تجاوب الفصور ، أو يخبر صرعا بين ظلام الشقوق :

ويكفيه مقاييس السردى
ويبعينه القصاد الهاجر
وحزام كسرت أسنانه
بغوى شبه الصبي ذاتيرة
وهي نثار كلفت اشعلها
أفطت ثار الخندق النافرة
وإذا صر به الموت ارتضى
راكدا تحت الشظايا المظفرة
أو توارى عند سفع التحنى
أو هوى بين الشقوق المظفرة

وقيل أن النفس يدي من هذه الدراسة لا بد أن اشير إلى قصيدتين
الاولى ردت بها أمير الشعراء أحمد شوقي ، والثانية ردت بها فيصل
الاول ، فبلفت في الانتين اللدوة ، وإذا نحن تجاوزنا الاولى ، فلا
يسعنا الا أن نقف عند الثانية ولو وقفه قصيرة ، نأمل فيها جلجالية
النحيب ، والحداد القافية ، وخطابية اللفظ ، ثم كيف راحت نتاجي
الطيارة التي حملت جثمان اليك الكبير ... ولعل روعة القصيدة في
هذه الفجوة التي تذكرنا بفجوة المتنبي ، وهذه الهوليات التي لم
يقدر عليها إلا أبو تمام في رثائه لاحد بن حميد الطوسي . تقول :

تجاهل الشوق للراق طيفي
واشيري راية اليك الكبير
آية أنت فهو فيك مسجي
وجناحه بين عصف ونسور
معدى في الفضاء ، في الصحرى ، في الحب ، وميلي على دروب البدر
والبري والبرق من كل هواء نوسواح يثقب صلد الفصور
ثم نادي البروق والرعند حتى
يستثير الفضاء حر الزفير
إن الحديث من ماري عجمي كشاعة فحسب لا يعلي لها إلا صورة
نصية ، أما النصف الآخر فيمكن في فكاحها السياسي والادبسي ،
كفاح من أجل الوطن أولاً والراتة ثانياً ... جرت بالحق ، واستغخت
بالظلم ، يوم كان سيف جمال باشا مسلطاً يفرى الرقاب ، ومشايقه
منصوبة في دمشق وبيروت تستقبل الرؤوس بالعثرات ، ونسادت
بالحق ، يوم كان قول الحق دونه الموت السزواً ، وزارت السجون
مستعينة بفلوذ الفضلاء وأصحاب العلوفا ، فلتسمها نتحدث عن
سجن جامع العلق ، يوم جاءت تحمل رسالة إلى أحد الادياء من ذوي
فنتقول : « وجامع العلق جامع قديم ، يجري تحت ردهته الرحبة أحد

فروع نهر بردى ، وكانت تقسم ٢٠ سجيناً من كل طبقات الأمة . وكانت
التوافد محكمة الؤفة ، قصيرة في باب الجامع الخشبي الصغير ،
يخال لناظري أنها فؤفة مدخنة ، لا احتشد فيها من البقرة المتفخمة .
وكتبت انكم من محادثة من اريد من الشهداء بارشاء الخيل ، فيعدوه
لي ، ويخرجه إلى الجوى ... وكتبت اذا وفقت أحدث احداً من الادياء
السجنا سددت آتني بالتبديل لتنتاة الروح التي يستشوقونها ولا
يمزؤون ، وقد رأيت الفقراء يخرجون حنة من السجن مضى عليها اربع
وعشرون ساعة ! . وكان الادياء يقترشون الكراسي في الليالي الباردة
مخافة راية البوصى المتساب مزحدا على تلك الفرش البالية الملهفة ! .
وكم مرة ضربت ماري الصغير بيديها ، ودخلت غير حافلة ، فيسبحك
الخفير من جرائها ، وتلع على ذلك بقولها : « نعم كنت جريئة ، وما
نال الخوف مني الا يوم قيل لي : هنا سجن النساء ، فبعصمت
من ثقب الياء وشقوفة ، فرايت منظرًا لث العرب في قلبي ، وتعودت
معهم اني مسافة يوما للرج مع اولئك النساء الماجرات ، اذا اتى آتف
من معاشره التألفات الخاليات من كل معنى ، ولو كن اغنى النساء .
أجل كم مرة كانت ترشو الخفير بربع مجيدي ، فيسمح لها برؤى من
نساء ، وبعد هذا كله كان يقال عنها : أنها تلبس الاجور على مساعياها ،
لان الادياء يبنوا . كما تقول - قد تعود ان يقتل المروءة بتصويدهم سهام
الظنون الى ذوي النخوة بدلا من تسجيهم ، والإعجاب بهم ، فكيف
لا تكون الزامات ، وتبقي الألف ، وتبعد الهمم .
هذا بعض ما كانت تطفله ماري ازاء اخواتها الادياء الذين اقتادهم
السلطان الى الآلية المظنة الهواد ظلماً وعدواناً ، حتى اذا لم يسعها
الحظ فأخرجه ، واعدوها راحت تزييه قاتلة :

أما يرحون غارقين في رقادكم ايها الثائون ؟
أما تعبت اجناكم وملت من الصلوق بالرمال ؟
قوما ! فند نغم نوما طويلا !
إن نغمت الربيع نغلا الفصاء
والاطيار تتساق على الافنان
والجدول تتادكم أن حيا عودوا النيا
فقد كفى الؤفوة وجداً وأتينا .

وبعد ... من غير ماري عجمي قاد المظاهرات نجتاح شوارع دمشق ،
تهتف ومن ورائها مئات الطالبات يهتفن : « فليمت الطالية واثوانه ،
ولتكن سورية حرة آية عزيزة » . أقول من غيرها كان كيش المحرقة ،
استطاع أن يصف بدقة وأمانة مشاعر الادياء الذين حكم عليهم بالإعدام ،
كيف كانت تسقط اللقمة من شفاهم اثر مساعهم قول الدكتور حسين
حيدر : « استيتم المشتقة يا أخوان » فيلتجئون إلى زوايا حجرهم
فالدنين الشهية ، تاتين في دافئ تلك الحقيقة الموجبة » .

من منا لا يدعي اذا عرف انها كانت تستعمل قسطل الماء ،
لتوصل رسائلها الشفوية الى اولئك الارياء من اعيان البلاد ، الذين
اتي بهم الى الشام من كل اطراف سورية وشواطئها ، ليلقوا الفين
غياية السجون ، ويلاقوا جزاءهم من محكمة الموت العرفية ؟ هذا ما
ترويه لنا ماري يوم جاءت تزور نغلة نساء عفران فرانه « جالسا عند
الباب في مدخل مفارقه القصبة المتخلفة السفك ، أمامه سلسلة
ضخمة معلقة الى قدمه تزن ثلاثين رطلا ، لتفتقها كلما تحرك صدق
أجش ، وكان يرفعهما بيديه اذا مضى ، ولا رأي رفع يصمره الى وأشار
على الصامت ، مخافة الجواسيس والرقباء ، وانا أعجب لحامتة
وتجلده ، بعد أن نال تلك الاهانات ، ولطف وجهه بالآلال ، ووضف
مئات من الصفات الباقى آتاس لم يكن يرضى أن يكونوا له عبيداً ...
بلى عجبت واهم الحلق عجبا شديدا كيف لم يقع مريضا في الفراش على
الآلال ، ولم أن من سبب لشجاعتها النادرة ، وتجلده الفائق » .
وأخفى من ذلك أن تصف لنا الخفير ، وهو يخفر بأتمله القدرة حفرة
في قصعة من اللبن - أرسل أحد اصداقائها السجناء في طلبها - يخفر

بقطة الموت

يا صباح العيون فيك ارتحالي
واطوي القلل اسر القلال ...
ان اغني للفجر ذكرى الليالي
فيروي العيون دفق الانالي
نحوال يعبو لجني نوال

فيحيي العبير محل التلال
يوما عن فطرها للدوالي ؟
في حيا الكؤوس مرمي الخيال
بمعيير ميتهم الامال ؟
لجسوم نموها للزوال
معيدا للارض شتى القلال
تجذب الروح لامتلاك الثال
معيدا عمره منى الاجيال
ونفسي الانوار سر الليالي
الهي بضمه للمحال ...

موسى العلوف

رد عن مقتني طيوف الجمال
ابدا انسج المشيبات بالحلم
كل همي ان غار في الافق نجم
يجرع اليدر من ذكاء فيها
انها سنة الاله على الارض

هوذا الورد يعصر الطيب في الفخ
انرى نعال الكروم يد القطاف
ان عقوده اذ مات يحييا
ام ترى تحلم الخراف مساء
انها في الصباح تفقد حياة
هكذا الدهر يحصد الناس في الارض
جنة الموت بقلعة ومثال
انا كم صفت من نجوم الاماني
ستزول الجبال والوحى باق
غير حلقى فانه طيف وهم

للتبت مما فيها ، ثم كيف كان يلحس انامله لتظيرها مما علق بها ،
ومثل ذلك يمل في غيرها من القصاص !

ولكن الوصف لم يكن يجدي فتلا والناس فربما : احرار وصفوا
في الزنانات او ابعدوا وشردوا ، وعيد ياغا القسم للغيرب بيع
اللذ والصغار ، فلهؤلاء راحت نقول ونجار :

— ان نوبا وخطيا تهديه اليكم بلادكم يستقي لكم الصانع
— قل لعبيد يتكرون بملابس الملوك ، واحرار برلموس على انقام
السلاسل والاغلال ، انهم سيطلقون الى ما شاء الله عبيدا .
— ان نوبا وخطيا لا وشي له ولا بهاء ، لافضل من تلك الهارج السارة
فباجة الفقر والجمود .

— الى مصنوعاتكم ايها السوربون فانها لراية لبلاد لم تبق لها راية .
— قل لهم ان امة هان على ابلاتها بدل الدماء ، ولا يصعب عليها
الاتصار في ميادين الاممال .

— عار علينا يا شام ان تكون من ابتلاك الذين حيوتهم كل نعمة ،
ثم تلجا الى القريب وتنف امامه موقف الاستمطاء ليسخو علينا بفسالة
ماتنا الخاص .

— ذاك يوم تستعدين فيه يا شام مجدك ليعود اليك النازحون من
ابناك فلا تقلق بهم الدبار ، ولا يطردون من ابواب المهاجر .

ان امرأة نقول مثل هذا القول الحر الصريح الجريء ، وتتفاني كل
هذا التفاني في سبيل نفقة امها ، لاجد ان توقع في صف المتاضين
الخالدين وصانعي التاريخ امثال : الكواكبي ، واديب اسحق ، ومحمد
عبد ، ومصلطي كامل ، وسعد زغلول ، وجمال الدين الافغانسي
والريعاتي وچيران ... صحيح ان سلمى صائغ ، ومي زيادة حنسا
السوربين والبنيتيين على المقاومة والشعور بالقلم ، غير اننا لم نقرأ
لهما ادبا لاهيا ، توريا ، مزرولا ، كهذا الذي نقرأه عند ماري عجمي
فيعصف ويشير ... الا يكتفي انها لم تعتم في برجها العاجي وهي
تسمع صرخات قومها تلهب السياط اجسادهم ، والابن الكبوت تعده

خناجرهم الجاه ! ولم نفيس عيناها عما نرى ويرى غيرها ، وتقف
سمعا عما يحدث كما فعل شوقي ، بل نزلت الى الساحة ، الى
الميدان ، ابلجها ايمان رايح الجذور، وبقي عقيق بحق قومها المؤود !
ولا تحزن ان هذه النفس النائرة تبقى دوما نائرة مضطربة ، كـ
بل لها خلوات وشطحات لا يعش فيها احد غير فردتها ، تطلق العنان
لواجتها واملاتها ، واسواقها ، ونمر ذاتها بمخاض فكري عنيف فاذا
بصوت وجدائها يصرخ :

— انت يا شوق احلى واروع من كل ما يتفنى به المرء ، ويستنير به
من الاضواء .

— انت تبثنا انفاس الحياة ، وتعلمنا اليما من مقرها المجهول ،
وانسا لا اريد ان اموت .

لنكم هي الامة ماري عجمي التي اغص الموت اجفاتها في الخامس
والعشرين من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٦٥ ، والناس منصرون
عن الموت الى مباحج الميلاد ...

لنكم هي اديبة الفيحاء التي قال فيها الشاعر الكبير المرحوم خليل
مرد بك : « لا احب من غواية المرأة الا غايتها في الادب ، وانما ما
يعجبني من ادب المرأة سحر الحياء ، وهذا العنجان مائلان في الامة
ساري عجمي » .

وقالت فيها السيدة وداد سكاكيني : « ان ادبنا النسائي المعاصر
ليزهو بشعر «ليلي» وما ليلي الا ماري عجمي التي اعادت الى الخواطر
ذكرى شاعرنا العريبات في عصور الجاهلية والاسلام ، على تفاوت في
الفكر والزاج والانتماء ، وان شعرها الرقيق يليق من حسنها الدقيق ،
يوجه اليها ملاك لا شيطان » .

وقال فيها فريد السياسة والادب المرحوم فارس الخوري :

يا اهيل البغريه سجلوا هذي الشهادة
ان ماري العجميه هي ممي وزياده

الاذقية عيسى فتوح



محمد رجب البيومي

فجر النهضة الادبية بمصر

بقلم محمد رجب البيومي

تحدث رفاعة الطنطاوي عن عيوب الطريقة الحشوية التي تعلم بها في الأزهر فكان أول آثار تعليمية عرف مكان الداء عن خبرة اليمه ، وكل من تار على هذه الطريقة تابع له ومقت أثره ، ولست بذلك نضال من جهود زعماء التجديد في الأزهر ، ولكننا نضم اليهم رائدا جعل مكانه في هذا الصغار ، وقد أتبع لرفاعة ان يكون فينا بعد مدرسا فويلا فناترا فمديرا لمدارس ابتدائية وعالية بمصر والودان ، فاجتمع بعشرات المدرسين ، وأنجب مئات الطلاب ، وان مصلا يحمل هذه الثورة بين جنبه لا بد ان يترجم عنها في دروسه معلما ، وفي توجيهاته ناظرا فمديرا ، وقد مهد بذلك لظهور طبقة من تلاميذه تعد الى الاسلوب المباشر في الدراسة حتى في دراسة الفقه والاصول وهما الصق العلوم بقبول المحتررات ، والاختلاف بين المنطق والمفهوم ، والملاحة في التعبير يعرف دون سواء ! فهايت كتابة تلميذه فدري باشا الفقهية - مثلا - ذات نمط متحرر سلس ! واذا كان ذلك في التاليف الفقهية فانه في غيره من ابواب العربية ادعى وأحرص .

واذا كان زميله الشيخ محمد عياد الطنطاوي قد رأى في اسلوب القامات نمطا بليغا يرفسيه فاززم نفسه بشرحها وتدرسيها للطلاب ، فان رفاعة قد حرص على اسلوبها المسجوع في كثير مما كتب ، اذ لم يستطع ان ينظت دفعة واحدة من قيود عصره مع ما رأى من اساليب كبار الادباء في فرنسا ، لان الانسان قبل كل شيء ، ولبد يمشيه وتربيته فمهما نار على بعض القيود والاضواغ فهاك ما لا يستطيع التحرر منه الا بمشقة تتطلب العزيمة الصارمة والاصرار المكين ، على انه وقد قرأ كتب الكبار من ادباء الفرنجة ، قد فهم ضروريا من الاحاسيس التيلية له لكن مما بهجس به شعور مصري قبله ، فهدى ذلك نظرتنا في اثر التربية الادبية في اذكاء مشاعر التحرر والاستقلال ، لقد نهض رفاعة نهضة فكرية ادبية حين قرأ فوثير وراسين وروس وميتشكو ، ففرع معاني الوطنية والحربة وكره قيود الاستيصاد والتسلط والحكم الفردي ، ولو قدر لملانه من اعشاء البعثات الحربية والصناعية

والطبية ، ان يقرءوا ما قرأ لرجعوا الى ديارهم ليكونوا رابا عاما بعث التائمين من الرقاد ! ولكن الرجل رجع باحساسه الوطني ، كما يرجع الابن القرب الى ام عاجزة حرمت مومته وقتا طويلا ، وتشوقت الى لقائه في قلق ، فحين اذنى بين احضانها حاله ان يجد بؤسها قد تضاعف وسنها قد تنفقت ، وضعفها قد تكاثرت ! وهكذا رأى رفاعة محمد علي يغصب الاعلين اراضيهم ، ليجعلها جميعها في قبضته ويولي احواله الاجانب شئون الادارة والحيابة والسخرية في القرى والمدن ! فتصاعد زفراته الحبيسة ، وينشر لأول مرة تراثيم الوطنية وقصائد الحرية ، وينفض على تلاميذه وزملانه احاسيسه المثقلة ، فيبهون في الاحساس يشجون مصر ، ويطلعون بحربتها المرتقبة واستقلالها المأمول ! وقد اتجه الى الجبل الجديد بمصره بمكانة مصر ويدعو الى حب الوطن واقتدائه فالف كتاب المرشد الامين للبنات والبنين ، ومن صلفاحه هذه السطور : « فالوطني المخلص في حب الوطن ، يفدي وطنه بجميع منافع نفسه ، ويخدمه ببذل جميع ما يملك ، ويدفع عنه كل من تعرض له بفرض كما يدفع الولد عن ولده الشر فينبغي ان تكون نية ابناء الوطن دائما متوجهة في حق وطنهم الى الفاصلة والشرف فلا يرتكون شيئا مما يخل بحقوق اوطانهم فيكون ميلهم الى ما فيه النفع والصالح كما ان الوطن نفسه يحمي ابيه من جميع ما يضر به . الوطن هو عني الانسان الذي فيه درج ، ومنه خرج ، يجمع أسرته ، ومقطع سرته ، وهو البلد الذي نشأته تربته ، وغذاء هواؤه ، ورباه نسيه ، وحلت عنه التائب فيه !! »

وقد أدرك ما للاناشيد الحماسية من اثر في ارتفاع الروح المعنوية ، وجذب على الاقدام والتاسحية متاثرا بتشيد فرنسا القومي « المارسييز » الذي احبه واعجب به فترجمه الى لغة بلاده ، ثم والى النظم على متواله ، فالى باغاريد جميلة سلسة تترنم بالوطن والجيش وتطلع الى الحرية والغزة كان يقول :

يا صباغ حب الوطن	حلية كل فطن
مسايطر البيروؤس	تلفد للتفوس
تذهب كل بؤس	عنا وكل حزن
ومصر ابهى مولد	لنا واژهى محتد
ومربوع ومعهود	للسروح او للبدن

الكون من مصر اقتبس	نورا وما عنه احتبس
فصر قديم يؤلصر	عن سادة وينشر
زهور مجيد تشر	منها العقول تجتس
او يقول من تشد :	

وعزير الوطن تخدمه	برضا في النفس تحكمه
مسال المصري كذا دمه	ميدول في شرف الوطن
تدعيه المين ناظرها	والنفس يجير ناظرها
تهدى في نيل ناظرها	بشرا العليا القلى لمن

وامثال مدين من نغمه كثير ، وقد كتب الاستاذ عبد الرحمن الراهي مؤلفا عن شعراء الوطنية بداه برفاعة وافاض في الحديث عن اثره القومي بما يسجل سببه الرائد ويقادته من تلاه من شعراء الكفاح ! وحين نفي هذا المصلح التحرر الى الودان بمشيتة عباس الاول ارقه ان يستبد هذا الفاشم المتفطرس بالامة فيؤسد المدارس وينكل باعضاء البعثات من المثقين ، ويحاول ان يرجع بالطلاب الى بلد دامتة اشمة الفجر واخذت نهض الطريق للصباح فعكف على ترجمة « مقامرات تليماك » ليلتون ، وقد كان قسا فرنسيا وكل اليه لويس الرابع عشر تربية حفيده « اللوق دي بورجوني » ، ولكنه كان ساطعا على استبداد لويس واسلوبه الدكتاتوري في السيطرة والقمع ، فوضع هذه المقامرات ليتنقل بتلميذك بين البلدان المختلفة ، ويبره من اساليب الادارة والحكم ما يتقد به من

وراء ستار سيطرة لويس وأربابه وتحكمه الفردي دون معقب ، « ذلك يرى الناقدون في هذا الكتاب صورة للحياة في فرنسا في القرن السابع عشر ، وعلى الأثرية أن يعرف مسائل لويس الرابع عشر في الحكم والترف ليقيم المقارنات على وجهها »

وقد ترجعها رفاة ليوفر باستبداد عباس ، وإذا كان فيتلون قد استوحى الأدب اليوناني حين اختيار ليلياك ووالده ألويس أحد أبطال طروادة ، ليعبر عن أفكاره السياسية في إطار من جوداته الأسطورية ، فإن رفاة بتمريه هذا الكتاب قد بدأ أول محاولة في العربية لنقل ما يشير إلى الأدب اليوناني القديم ، مما يجب أن يلتفت إليه الباحثون !

نتنهي من ذلك كله إلى أن بلور نهضة فكرية أدبية قد غرست في عهد محمد علي أو قبله بيسير أبان الحقبة الفرنسية ، وإن من طبيعة هذا البلد أن يبقى مدفونا في الأرض أمدا غير يسير ، حتى يشب وترعرع ، وأن نظر الناظر فيما فوق السطح فلم يجد خضرة تلوح ، إلا أن البدره تنمو وتكامل ، حتى إذا مضى الوقت المناسب فتحت الأرض من عيائها الخضر ، وقد يكون أئام راذلا لا يسعف بالري الكامل ، ولكنه يستطع أن يحفظ للبدره عنصر الحياة ، وقد مضى عهد محمد علي والأرض توشك أن تخرج فرسها النافر فما استطاع أعصار عباس أن يقتله مهما عنف واشتد ، فقد أوصدت المدارس ، ولتلفت الوظائف الإدارية أعضاء البعثات وأرجهم السلطان فكمسوا أفواههم وحيدوا الله أن تجاوزهم الخطر فلم عليه بالاستعصال ، ولكن قوانين الحياة لا تظل باستبداد فرد ، فالطبيعة القادرة أقوى من أن تسلط عليها متسلط طال أمده أو قصر ، وقد انتهى حكم عباس وسعيد ، وجاء اسماعيل مشرب الحق في مفارقة تزهر في الغرب ، ببدل ما ببدل ليري مصر وقد أصبحت قطعة من أوروبا المتحضرة وما هو ذا الفرس يشق الأرض وزهر ، وما هي ذي المدارس والمصحف والكتب والمطابع والمارح والبعثات نفيس وتكسح ، لقد انتهى عهد البعث وأجل عهد الانطلاق !

أراد اسماعيل أن ينشئ دولة مزدهرة الحضارة ، كما أراد محمد علي ، وإن اختلفت نظراتهما في الأسس والطرق المتوخاة ، وقد نهضت الأمة في عصر اسماعيل نهضات وأنية ، لا تكونه أضدق نظر ، وأبدت تفكيراً ، وأقوم سبيلاً ، بل لأن الأرض قد أصبحت مهددة مستقيمة صالحة للفرس والري بعد أن انتعشت حركة الحياة السالفة ما فوق السطح من صخور وأشواك ! وفي هذا اصدق دليل على أن الإصلاح لا ينبعث من فرد واحد ، بل لا بد أن تكون البيئة مهدية لقبول الإصلاح والتوجيه وأنظمة المرافة لا يستطيع أن ينهض باعة ما إذا كانت بمنى شاسع عن أرائه ومثله ، وكمن من المصلحين من ففروا بأرائهم إلى القمة ولكن أصواتهم لاثلاث في مهب الريح ، وقد مالوا بخصرائهم حين ابصروا عواماً الرجعية وقوى التزمت والجودوت تقال أفكارهم الحرة الناعضة ، وحين سمعوا عبارات السفه والعجنسون والفردوس تصمد اسماعيل من معارضهم الكثيرين ، ثم إلى الزمن سيره ونخب جيل وجيل ، وجاء من الناس من عرفوا الحق فاندكروا الفاضل العقلي الشاسع والواجب الفئسي البعيد الذين كانا يمتحان أوجه الاصلاح بين المصلح والواهب والتفتة المتفجرة ، لذلك شاء اسماعيل أن يجعل مصر قطعة من أوروبا فوجد من أعلام الأمة من ظاهروه وساروا معه إلى ابعاد مسا يستطيعون ، وجد أعلام التربية الذين انشأوا المدارس العالية ، ولغوا الكتب المتنوعة وقاموا بالتدريس عن جدارة واستعداد ، ووجد حملة الافلام الذين ففروا بالصحافة إلى مستوى لائق فسي مدى لا يتسع لظواهر التطور الحديث ، ووجد مؤلفي المسرحيات وترجمي الروايات الذين اسفوا السرد النافذ بما يريد ، ووجد من الوزراء وفادة الأمة من ساعدهم وبدوا وخالفوه خلافاً بارزاً حين مال إلى الاستبداد ونزع إلى الفردية المتسلطة ، بل وجد مجلس الأمة يقف في وجهه ، ويقبل رئيس وزرائه ، ويحدد السلطات ويناقش حدود الحاكم ، وجهات

اختصاصه !! هذه المعارضة الصائفة العاصفة دليل البظة الفكرية ، وأية التقدم الأدبي ! واليه يرجع الفضل فيما يقال من وثية الأمة وتطلعا إلى اسدب الحضارة والعمران ، وسيرها في هذا الطريق إلى ميعيد !

وما يقال عن اسماعيل يقال عن جمال الدين مع الرابع الشاسع بين من يريد التندم للشرق والاسلام والانسانية وبين من يبني المجد لشعبه ، والتقدم لاسرته ، حتى يقول الناس انه عاقل مصر الأجد ! ورأسها المبر ! فان هذا المصلح الافغاني العظيم قد طاف ببلاد الشرق : نزل إلى فارس بعد استصدامه بملك الافغان ورجل الله والدي والجنجاش مثيراً الغرائم ، وواصل السياحة حتى اغتفل بالاساتنة ، ولم يجد في كل مكان يؤمه بيته مستنيرة تهش لتعاليمه ، ويشير بأماله غير مصر ، فمصر وحدها كانت مهد أفكاره ومعتصم أرائه سارع ابتناؤها المتفنون من الائتلاف حول رايته ، والارتشاف من معين اصلاحه ، فتوافد الشباب زرافات ووحيداً إلى درسه بالبيت ثم إلى حديثه بالمقهى ، وقد نظر العظماء العظيم فيمن حوله فرأى نفوساً منطقة والانما متاهية ، وهما طامحة ، فلم أن جهاده أن يفسح ، وبحت من النشئ الفصح لأفكاره للاميذه فوجد الصحافة ميداناً صالحاً للركش والجهاد ففكر في لاميذه ، واختار ذوي السبق منهم للكتابة في حقوق الشعب ، وواجبانه ، فكان يحدد الموضوع ، ويشرح العناصر بدراً ثم يتروك للكتاب أن يسير وفق استعداده ، وتماثل صفحات الانطلاق مسنجلة روح هذا الداعية الناثر ، فاربعث الأرض وصفا الناثون ...

جاء الحكم الافغاني ليوفد شملة الحرية في بلد أحس معاني الحرية ، فاختد يضرب على وتر من تهو إلى الاذان ، وتتعلق به القلوب ، ونظم الخواص حين نصدق من يقول انه هو - وحده - الذي يث أقباس الحرية بحثاً ، فلم تكن كتابة الطهاولي قد ملأت بقاع الوادي قبل أن ينفذ هذا الناثر الطموح ؟ أو لم يكن رجال البعثات قد عادوا من أوروبا وفي نفوسهم نزوع وإمال ، فإذا كانوا قد أتروا العصمت في عهد اللامع الباشي فلم زال الجبر يتوجه قبل الرماح حتى إذا انتفعت مياميدن الكلام في عصر اسماعيل طار الرماح على حية ورشح عاصفة والتهب الفرام : ألم يكن شيخ ضرير آخرى يعلم الفرنسية ويعصر كتاباً فيما سببه « الكلمات الثمان » يتحدث فيه عن الوطن والحرية والامنية والعدالة والظلم والبرية والحكومة ! هذا الشيخ هو صاحب الوسيلة الأدبية الأستاذ حسين المرصفي وقد افاد الفكر في ناحيتين هما الناحية القومية حين تشرب مبادئ الإصلاح ، ووقف على آثار مفكري الغرب سواء في لغتهم الأصلية أو فيما ترجمه رفاة ولاميذه الكثار ، فيكون أول ازهرى في بلج موالج السياسة والاجتماع ؛ وحين عكف زملاؤه على تأويل عبارة أو تحرير تقرير أو تخطيط جملة ، أو التماس تجنيس ، كان الرجل يعيش ناثراً الأعصاب متوفز الأساس في عصر اسماعيل ، يلص تحكمه الدكتاتوري وغلطرت الباشية « فروح إلى طلبة في دار العلوم ، ويميل على قرأته برفسة المدارس لبيدته حين عن الوطنية والحرية والأمة والعدالة والظلم وحيناً آخر من مقومات الأدب الحي ، وعناصر الاسلوب الجديد !! وهذه هي الناحية الثمان من جهاده الفكري فقد ألف كتابه الأدبية ليزيح عن الطرق كابوس الظلم البديهي ، ويحل محله الديباجة العربية المصححة ، وإذا كان البارودي رحمه الله أظهر لاميذه في مجال الشعر ، فإنه لم يكن ليوالي النظم على هذا الشذوذ المتسرف بين شعراء عصره إلا أن تعفيسد المرصفي تشجيعه ! ونحن نعلم عن يقين أن الفنان مهما بلغ من الجودة والدرية والانفان لا يطعن إلى جودته وإتقانه دون رائد بصير يسعفه بالثناء والتقدير ، وكمن تحركت مواهب رافعة ، ثم توبت فافرة طافرة ، ولكنها عمت التسجع ، فاختلت وتماثلت وتكسحت ، وفقدت قوتها اللغوية ، ففعل اليها الله أن تسير في اتجاه صحيح ، ولكن موجبة البارودي لالت من المرصفي الكبير مقدراً ومعظماً ، فانفجرت لهاثان عن نغم غلب طريف ؛ وما فلك باستاذ يحتفل بتلميذه ؛ فيسجل شعره في

شفرة العقل

لولا نزوح العقل ما احتدم الاسي
في النفس مهما جد من احداث
شعر الخطوب لدى الانام اخفها
وقسا على الخبوس والملتات
والعقل ميراث الكرام وربما
شقي الكريم بطيب الميراث

القاهرة سلامة خاطر

وحاولوا ان يتبنوا جدارتها ، وهيات ان يغفوها بها كل مخاض !
اضف الى ذلك ان ازدهار الكتب المطبوعة من الادب القديم كمقدمة ابن
خلدون واغاني ابي الفرج واجايه الغزالي ، وكليلة ودمنة والقصد الفريد
قد هاجمت بظرفيتها الادبية ، اسلوب القرون المتأخرة ، واهيمنت الناشئة
ان التحرر البياني والانطلاق الادبي يمتان باقوى الاسباب الى عصور
العربية الزاهرة ، وان ادب الحسان قد كان عرسا طارنا فهو لا يقرب
بجذوة الى الادب الصميم ، ولم يمن به غير قليل من ادباء العربية
فصنوعهم يادى ذي يد مطبوعا غير متكلف ثم خلف من بعدهم خلف
امتهنوه بالتكلف ، وابتذلوه بالتلفيق ، حتى اخفت المعاني وراء ازدواج
او طباق ! ثم ان الكتاب الحديث لم يسكنوا من مهاجمة ادب الصنعة ،
فجعلوا على المسجع حجابات كثيرة وجعلوا الفهم اسانلة نقد وبلاغة قليل
ان يكونوا دعاة تحرر وانطلاق ! وليس هنا مجال الفصل في الاسلوب
المسجوع ، ولكننا نشأ نقر ان هذا العصر الادبي شاهد الوانا مختلفة
الاسلوب ، وراى جريا طاحنة بين انصار التحرر ، ودعاة الرونق
اللفظي والضحك الكيانى ، وقد نشأ الجيل الادبي الجديد ليرى طرفا
مختلفة في الاسلوب ، وقد نهيا لكل ناشئ من الدراسة والتوجيه ما
حبب اليه لونا خاصا من الوان التعبير ، فلدينا مدرسة ادبية متحررة
يتزعمها محمد عبده ، وتقسم بين انصارها امثال عبد الرحمن الكواكبي
واديب اسحق وفاسم امين واحمد فتحي وظلور ومدرسة ملتزمة يتزعمها
عبدالله فكري وتجمع بين انصارها محمد المولوي والسيد توفيق البكري
وحفني نافع وحجزة فتاح علي اختلاف مراتب الانفاق عند اولئك
وهؤلاء بحيث لا يمكن ان يكون كاتب من الكتاب صورة مماثلة لزميله
في المنهج بحال ، وهذا في التثر وحده اما الشعر فقد استنطاق البارودي
ان يمن على آثار الحسان بشخصيته الفذة الجديدة بحيث تسوارت
او كانت ان تتوارى في اشبه ظلال من خالفوا مشربه من شعر جيله
كالبيشي وعبدالله فكري وعلي ابي النصر والساعاتي ، وتقدم وحده قائدا
لجيلة رائدة برع في ميدانها شوقي وسبري وحافظ والبكري ومعمور
والكاشف ويبرع من الشاعرين على اختلاف شافع في مذاهب القول
ومناحيه ، وكل هذا التباين المختلف نثرا وشعرا ولید عصر منظوم
مختلف يجمع بين اياته الطائر بتناحيه والسائر على قدميه والواقف
المثقت ذات الشمال وذات اليمين لا يدرى الى اي اتجاه يسير !
هذه اشعة نلقها على المحيط الذي في مفتاح الحاضر العديث،
لتفهم على سؤلها التيارات الادبية التي كانت تلاطم اذ ذاك ، ولنتبين
الجو الفكري الذي تفتحت عليه عين صاحب الترجمة في نشأته الاولى
فنعلم من بصيرة واعية كيف اختار لنفسه طريق المسير !

محمد رجب البيومي

الفيوم - دار العلمات

كتابه ويعلق على ابيانه مفسرا وشارحا ، مما يذكروا بصنيع الواحدى
مع تلميذه ابي الطيب !! وهذان الجهدان المختلفان للمرصفي قد نهيا
له باطلاه الخاص واتجاهه التميز فهو بهما باحث سباق .

لقد جابت هذه النهضة الفكرية في عصر انتقال منظور ، وعصور
الانقلاب في كل زمان ومكان تجمع المظاهر المثلث ، والمجدد المبكر ،
ونفس الوانا مختلفة من العمليات المتبادلة ، واذا كان التطوران البياني
او الاقتصادي يمتان في سرعة عاجلة ، بان تكون الدولة في مساء يوم
ما ملكية ثم يصبح الصباح فاذا هي جمهورية ، او ان تكون الدولة في
الصباح ارسالية ثم لا تلبث الشمس حتى تكون اشتراكية بعد تهديد
مستتر او ظاهر تتجمع عوامله قريبا او بعيدا حتى يتم التغيير فيظهر
وكانه فجأة بسرعة ذهلت العين والسمع ، فان التطور الادبي لا يمكن
ان يتم بسرعة حاصفة ذات فاصل محدد ، بحيث يصير يوم معين ميذا
لتحول الفكر او الاسلوب من نمط الى نمط ، لذلك كان عصر الانتقال
هذا عجيبا في اتجاهه الادبي والفكري مما ، فكانت نجد ادباء متحررين
بوايونو النقد وغفزون الى المستقبل في تطلع ، وادباء مقلدين يجمعون
على ما تواروه من اساليب الكتابة البديعية ؛ وقد راينا من مؤرخي هذه
الفترة من يجعل ادبياتهم بقتين مختلفتين وفق التزام القيود البديعية او
التحرر منها ، وهو تقسيم ظاهري لا يتغلغل الى ارب من السطح
الظاهر ، واقرّب منه ان نجعل الادباء بقتين او طبقات مختلفة وفق ما
يعالجون من الاغراض ، فالذين عكفوا في اتناجهم النثري على كتابة
الرسائل الاخوانية ، والافاندا في الوصف الحسى ، ومحاكاة المدرسة
الفاصلية في اغراضها البيانية قد التزموا الاسلوب البديعي ، ونشروا
الحسانات نشرا انتقل من كتاباتهم الى احاديثهم ، وجرى في ترويضهم
مجري الدم ، والذين انتهوا الى الاصلاح السياسي والاجتماعي ،
واتخذوا الصحافة منابر عالية لافكارهم المتطرفة قد لجئوا الى الاسلوب
التحرر ، وحاولوا على المسجع حلات قوية اخلفت فضائل في قيمته ،
وتنظر اليه كحيلة زائلة كان الناس يظنونها من المذهب الخافى ، فاذا
هي لا سادى فيلا او كثيرا في السوق المعاصرة ، وقد عجز قائل ان
اسلوب عبدالله نديم وهو ناثر سياسي ومصلح اجتماعي يلتزم الحسانات
في اكثر ما يكتب من مقالات الثورة والاصلاح ، والحق ان التذمب شاد
في يابه لانه دخل المقالة والشعر من طريق الخطابة والمثير فيجات مقالاته
القلبية خطبا منبرية ذات اسجاع ، وهو فيها اقل تأثرا من مواقفه
السلبية ، وقد ذكر العلامة احمد تيمور في تراجم اعيان القرن الثالث
عشر ص ٧٧ « ان شعره اقل من نثره ، ونثره اقل من لسانه ، ولسانه
القابة القصوى في عصرنا هذا » على ان اجود آثاره القلمية مذكراته
السياسية ، وقد تحدث فيها بأسلوب متحرر من مقامات عباس الاول ثم
نظر الى عهد سعيد نظرة رافضة فاسخ على حلل التجلة وانتقل الى
عهدي اسماعيل وتوفيق ليرسل شوافه الناري تزييم نوري وخطيب
شعبي ؛ وهو في انطلاقه البياني ونحدره التصويري آية الايات في السلاية
والابداع فلينك التديم امة وحده في مناهج الكتابي كما هو امة وحده في
نورته العارمة وهناك مع هاتين الطيفتين طبقة ثالثة ، لتكتفها الحيرة
فلم تدبر في اي سبيل تسير ، فهي تكتب الرسائل مسجوعة ومرسلة
وتعزى لتواحي الاصلاح كذلك مقيدة ومطلقة ووجوهها الحتمى في هذا
المجال المتضارب امر لا مفر منه فالادب صورة النفس ، والنفس لا تعدم
التزوي للفق الذي لا يستقر وقد كانت القليلة دون شك لانصار التحرر
البياني لعدة عوامل ، اهمها ان الاغراض الجديدة من مناهضة للاستبداد
السياسي ووقوف امام المستعمر الانجليز ، ومحااربة صاردة لافات
الاجتماعية من فقر قائل ومرض غشال وجعل فاضح ، هذه الاغراض قد
صاغت ميول القراء وحررت على اوتارهم الفلكلوا بتلمسوها وبحاوتوها!
وقد كانت حرارة الكتاب المخلصين اقوى من ان تسجن في سجع او جناس
فاندفع اسلوبهم القوي يشق طريقه الى القلوب مجردا عن الحلى
والاصباح ! ولكن اسانلة المدرسة اللغوية قد تصكوا باساليبهم ،

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرسي

من « العروة الوثقى » في لندن

في القرآن الكريم خاصة وفي اللغة العربية عامة عبارات تستوقف الانتباه أحيانا لما فيها من الماني البعيدة التي ليس لها ما يعادلها الا في الاقوال الفلسفية العميقة . ولا ادري اذا كان ما يتراءى لي في هذه العبارات يصح ان يعتبر شيئا من الفلسفة كما نعرفها فسي ماضيها وفي حاضرها . ولكن رجال الظاهر والباطن وبعض الفرق وأصحابها تعرضوا لامور فلسفية لها علاقة بهذه العبارات وكان بعضهم كالكليانية والحانية يقولون اقوالا لا تختلف كثيرا عن اقوال « باركلي » و « كانت » في انكار القدرة على معرفة الاشياء بحقيقتها واذانها في خارج العقل وفي هذه المعرفة هل هي حقيقية ام ظاهرة ام هي من صنع العقل وخلقه .. فالذين يقولون بالمعرفة الحقيقية وبأن الاشياء لها وجود حقيقي مستقل عنا هم (الماديون) ، والذين يقولون بانها ظواهر لا يستدل منها على وجود اشياء خارجة عن العقل او على عدمه هم (الظاهريون) كما فني الفلسفة الغربية ، والذين يقولون ان الاشياء لا وجود لها في الحقيقة وانما هي موجودة فسي العقل فقط هم (المثاليون) (المثاليون) والاصح تسميتهم بأصحاب العلم الحسولي او (الفكرين) برعامة باركلي .

من هذه العبارات مثلا ما جاء في القرآن الكريم بقوله تعالى : « عالم الغيب والشهادة » وقوله : « انها لا تعي الابصار ولكن تعي القلوب التي في الصدور » . ومنها في اللغة التفريق بين البصر والبصيرة ، وبين المعرفة والعلم . ويظهر من العبارتين الاوليين في القرآن الكريم ان الاشياء على نوعين : مشاهد ومغيب ، وان الابصار انما ترى اشياء هي خلاف ما يراه القلب ، او ان حقائق الاشياء قد لا تظهر للابصار وانما تظهر للقلوب . وفي القول عن البصر والبصيرة ان البصيرة ، بحسب تعريفات الجرجاني ، « قوة للقلب النور بنور القدس يرى بها حقائق الاشياء وبواطنها بمثابة البصر للنفس يرى بها صور الاشياء وظواهرها وهي التي يسميها الحكماء العاقلة النظرية والقوة القدسية » . والقول من المعرفة والعلم ان المعرفة ، بحسب تعريفات الجرجاني ايضا ، « ادراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم ، ولذلك يسمى الحق تعالى بالعلم دون المعارف » . ولعل الجرجاني اراد ان يقول في ترتيب درجات المعرفة والعلم ان الجهل يأتي

في الدرجة الاولى وان المعرفة تأتي في الدرجة الثانية وان العلم يأتي في آخر الدرجات . فالعلم شامل للمعرفة ولكن المعرفة لا تشمل العلم بحكم الضرورة . ومع ذلك فقد اختلفوا في ان يكون الجهل تقيض المعرفة او تقيض العلم . وقد ذكر الجرجاني نفسه ان الجهل تقيض العلم ، وهو الجاري على السنة الناس وفي عرفهم .

من هنا يتبين في واضح الامر ان الانسان يعيش في عالم الشهادة وقد يشترك في عالم الغيب فسي قليل او كثير بارادة الله ، وان الانسان ، اذا لم يكن جاهلا ، يكون عارفا وقد يكون عالما في قليل او كثير بارادة الله . ثم ان الحواس لا تكون اداة العلم ما لم تكن الاداة روحانية خالصة كالبصيرة . هذه الاشياء التي نستدل عليها من تلك العبارات الدينية واللغوية لما يشابهها في الفلسفة الغربية القديمة والحديثة . وتقتصر في البحث هنا على الفلسفة الظاهرية التي طالما وعدنا القاري والكريم بالكلام عنها . قلت ان الماديين ، كما ذكرت آنفا ، يؤمنون بوجود الاشياء حقيقة خارج الدهسن ، وان (الفكرين) او (الدهنيين) ، كما تشاء ، ينكرون وجود الاشياء كما يعتقد الماديون ، ويقولون ان الاشياء لا وجود لها الا في الفكر او الدهن . والصراع بين هذين المذهبين قديم ، وله صلة بالدفاع عن الدين او بالتهجم عليه في العصور الحديثة بصورة خاصة . وكانت تجري بين الفلاسفة مناقشات في الموضوع . ومما يذكر في هذا الباب ان الدكتور جونسون الانكليزي كان اذا سمع اصحاب المذهب الفكري يحذرون عن عدم وجود الاشياء حقيقة في الخارج يقول ان الذين يقولون ان الاشياء لا وجود لها في الحقيقة وانما هي موجودة فسي العقل فقط هم (المثاليون) (المثاليون) والاصح تسميتهم بأصحاب العلم الحسولي او (الفكرين) برعامة باركلي .

من هذا الباب عليه ، فاعل صدقه عليه من الشياك وقال له : لماذا لا تدخل من الباب لان الباب لا وجود له . وكان الفيلسوف الالماني فختي من رجال المذهب الفكري مثل باركلي ، فحدث يوما ان بعض الطلاب بسبب نزاع في الكلية كسروا زجاج شبابيك فختي ، فقال الشاعر غونسي حينما سمع بالحادث « هذه طريقة مستكرهة للعلم بحقيقة العالم الخارجي » .

وعلى كل فان هذه التطورات الفلسفية جميعها مترابطة

« المعلومات الحسية Sense-data او هي العلم الحسولي او الانطباعي الذي تكلم عنه العرب . وبحث لوك في مشكلة فلسفية عويصة ، وهي مشكلة الافكار المتكونة في الذهن هل هي اولا صورة صادقة للاشياء في الخارج وهل هي ثانيا دليل على حقيقة وجود هذه الاشياء . مثال ذلك اننا اذا راينا امامنا كرسيًا ، فهل الكرسي في حقيقته كما اراه في مرآة الذهن ، وهل الكرسي موجود فعلا في الوجود الحقيقي .

اطلق لوك على نظريته الفلسفية عن العلم الانطباعي او الحسولي اسم « النظرية التمثيلية » بمعنى ان الانطباع في مرآة العقل ليس الا صورة للاشياء في الخارج . وقال ان هذه الصورة لا تدل على وجود حقيقي للاشياء الظاهرة في الذهن ، ولكنه استثنى من ذلك بعض الصفات التي سماها بالصفات الأولية Primary Qualities ، وقال ان هذه الصفات ، مثل الطول والحركة ، لها ما يقابلها حقيقة في العالم الخارجي المادي ، وان الصفات الاخرى التي سماها بالصفات الثانوية مثل اللون والصوت والحرارة والظلم والرائحة ، ليس لها وجود حقيقي وانما هي من ابتداء الفكر .

وخلف الفيلسوف البريطاني باركلي (١٦٨٥ - ١٧٥٣) خطوة اخرى كانت استنتاجا طبيعيا من النظرية التمثيلية ، فقال ان الصفات الأولية ليس لها وجود حقيقي ايضا وانها كالمفاهيم الثانوية هي صنع الفكر لا غير . وقال انه لا وجود لاشياء مادية خارج العقل بل ان وجود الاشياء يتوقف على الفكر او العقل ولا يمكن تصور وجود الاشياء منفصلة عن الشخص . هذه هي النظرية الفكرية Idealism ، وكان يجب ان تسمى Idea-ism ولكنهم اضافوا حرف اللام L اليها سهلا للفظ . وبهذا انكر باركلي وجود شيء مادي في العالم ، وافر فقط بوجود العقل ، خلافا لديكرات ولوك اللذين آمنوا بوجود شيئين في هذا العالم : جوهر الفكر وجوهر مادي . وجاء الفيلسوف الانكليزي هيوم (١٧١١ - ١٧٧٦) فوافق باركلي في عدم التحقق من وجود المادة ولكنه تشكك في وجود الجوهر الفكري او الروحي الذي آمن بوجوده باركلي . ثم جاء كانت الفيلسوف الالماني (١٧٢٤ - ١٨٠٤) فوجد امامه تخطا فلسفيا واراد ان يضع حلا له ، فخرج بنظرته القائلة بوجود معلومات ظاهرية Phenomena ومعلومات غيبية noumena وقال ان الانسان لا تمكنه معرفة ذاتية الاشياء لان هذه المعرفة غيبية عنه ، وانما يعرف فقط ما يتراءى له من المظاهر ، وليس له سبيل الى معرفة الحقيقة . هذه النظرية هي التي كانت دعامة الفلسفة الظاهرية التي يؤمن بها الكثيرون في الوقت الحاضر ويسير على نهجها التقدم العلمي . وخلاصة هذه النظرية ان معرفتنا بالماضي ناشئة عن الاحساسات والتجربة ، ولا يهمننا ان نعرف اذا كانت هذه المعرفة صورة حقيقية للاشياء او دليلا

من اثبات اية قضية او نقضها . وادت الحاجة الى تحديد المعاني وتقريرها الى ابتداء طريقة جدلية تعرف بكلمة Dialectic استعملها سقراط وافلاطون ، ثم استعملها بعدهما بزمان طويل فلاسفة القرون الوسطى ، ثم استعملها الفيلسوف الالماني هيكل . وكانت الغاية التوخا من الجدلية هذه بلوغ هدفين : الاول توضيح المعاني وتوافق الافكار التي تدل عليها الالفاظ والمعارف . والثاني التوفيق بين الأشخاص المختلفين ، كما يفعل القاضي والمحامي عند مناقشة الشهود والمتهمين للوصول الى نتائج متعارف عليها بين رجال المحكمة والمحلفين من جهة وبين المحكمة والمتهمين والشهود من جهة اخرى . ولكن هذه الطريقة الجدلية لاقت نقدا شديدا من بيكن الانكليزي اولا ثم من ديكرات الفرنسي ، وهذا على اثر قيام علم جديد هو العلم الطبيعي . فالطريقة الجديدة في العلم الطبيعي هي ان الوصول الى المعرفة الحقيقية لا يكون عن طريق الجدل والمحاورة وانما يكون عن طريق المشاهدة ، اي عن طريق مراقبة الظواهر الطبيعية . وكان انتقاد بيكن للطريقة الجدلية على اساس انها لا تؤدي الى المعرفة ، ولا سيما المعرفة الطبيعية . وندد ديكرات بها على اعتبار انها لا تؤدي الى هذه المعرفة ، بل انها لا تؤدي الى اليقين . واليقين او التحقق في رأي ديكرات هو الهدف الذي يجب ان يسعى اليه ، ولذلك فقد ترك هذا الفيلسوف تعاطي الالفاظ والمعارف وانصرف منها الى ما يتعلق بها وهو التفكير . واعتبر ان هذه الالفاظ والمعارف لا تخرج عن كونها مظهرًا خارجيا لشيء باطني اساسي وهو التفكير ، ومن هنا فتح له البحث والتأمل ان الشيء الحقيقي في العالم هو الفكر ، وان الانسان متيقن من حقيقة امرين اساسيين هما : (١) افكار الانسان نفسها (٢) الانسان المفكر نفسه .

وكانت الفلسفة في اوربيا في ذلك العهد تهتم بايجاد تعليلات عقلية لمعالجة المشكلات التي اثارها حركة الاصلاح الديني في القرن السادس عشر وفيما بعده ، في حين ان الفلسفة في بريطانيا ، ولا سيما بعد بيكن ، كانت تهتم بالمعرفة دون الايمان الديني ، وخصوصا المعرفة العملية النافعة . وقد وجد هذا الاتجاه تشجيعا من الاراء الفلاسفية الجديدة التي اثارها ديكرات ، واخذ لسوك الفيلسوف الانكليزي (١٦٣٢ - ١٧٠٤) تلميذ ديكرات في بحث التفكير الذي قال عنه استاذوه وفي محتويات هذا التفكير ، اي في بحث الافكار التي تقوم في الذهن وتكون فيه . ونفى لوك ان تكون الافكار متصلة في الذهن او مخلوقة معه ، كما كان الاعتقاد لدى اصحاب الفلسفة المثالية تحت زعامة افلاطون ، وقال ان الذهن عبارة عن لوحة مسحاة تتلقى الانطباعات من الخارج التي هي اساس الافكار عن طريق الالطاس او الادراك . وهذه الافكار التي تتكون في الذهن عن هذه الطريق تعرف احيانا في الفلسفة باسم

على وجود ذاتيات الأشياء ، لانه لا يمكننا التحقق من ذلك كله على أي حال . ولكن الذي يهمنا هو ان العلم الانطباعي هو كل ما نعرفه وهو كل الحقيقة ، بدون ان نتعب افكارنا في المحاكات عن وجود المادة او عدم وجودها ، وان ماسميه بالعالم الحقيقي ما هو الا عالم المظاهر لا يختلف عنه ، والشيء الذي نسميه (حقيقيا) هو (الظاهري) كما تصوره لنا مرآة العقل .

ولكن اصحاب الفلسفة الظاهرية يفهمون شيئا واحدا من كلمة (حقيقي) وهو ان يكون الشيء متطابقا مع الأشياء الاخرى . وتكون الأشياء حقيقية موضوعية اذا كانت علاقاتها مع غيرها من الأشياء ثابتة وعلى نظام واحد ، وكذلك مع المشاهد لهذه الأشياء . ولناخذ مثلا على ذلك رؤية قرص الشمس . فان مرأى قرص الشمس هذا هو مرأى ظاهري ، واذا اعتبرنا محض الرؤية فقط فاننا قد نستنتج ان قطر الشمس لا يزيد عن مليمترات معدودة . ولكن هذا يتعارض مع امرين ثابتين : الاول ان الأشياء تظهر صغيرة وهي بعيدة ، ومعنى ذلك ان قطر الشمس يجب ان يكون اطول من ظاهره ، والثاني ان علماء الفلك تمكنوا بالعلوم الرياضية والطبيعية الموثوق بها من حساب المسافات الفلكية بقدر عظيم من الدقة ، وقد وجدوا فعلا ان قطر الشمس يجب ان يكون اكثر من ثمانى مئة الف ميل . فنجم الشمس اذن في حقيقته لا يتوقف فقط على رؤية المشاهد وحده وانما يتوقف على علاقاته المتبادلة مع اشياء اخرى . ولناخذ مثلا آخر من احدى روايات شكسبير . وقد يذكر الذين قراوا رواية شكسبير مكبث هذا راي خنزيرا سابحا في الهواء اسماء عينيه ، وسرعان ما ادرك انه وهم باطل ، وذلك لانه يعرف ان الخنزير انقل من الهواء فلا يمكن ان يسبح فيه بدون ان يسقط في الحال . ولما شك مكبث في ذلك ، قبض على الخنزير فلم يجد شيئا ، وذلك لانه يعرف ان الأشياء الحقيقية يشعر بها الانسان اذا امسك بها . ومن هذا القبيل بساط الرمح الذي تقرا عنه في الف ليلة وليلة . فالاشياء التي تثبت علاقاتها مع غيرها في معلومات وديسابير منتظمة هي الأشياء الحقيقية ، وكلما ازدادت هذه العلاقات رسوخا في المعرفة وتوسعت ازدادت حقيقة الأشياء . وينقل الشيء ظاهريا اذا كانت علاقاته بالأشياء الاخرى غير مقررة . ومن هذه الظاهريات المعجزات والخرافات ، كالتي تقرا عنها في الف ليلة وليلة مثلا او في اساطير الاغريق القدماء . فاذا رأيت مثالا الاغريق تصوروا حصانا برأس انسان ، ادركت على الفور ان هذا المخلوق لا يمكن وجوده لان رثة الحصان تحتاج الى ثم او حلق اكبر واوسع من ثم الانسان او حلقه . ولكن هذا المخلوق يظل في نطاق الظاهريات الى ان تثبت سخافته ، فينبى او يوضع موضع الخرافات . واكثر الحقائق التي نعرفها الان على صحتها بغض البحث العلمي كانت فسي

بادى الامر من قبيل الظاهريات او الوهميات . وعيب هذه النظرية انها لا تعتمد على معيار مستقل تقاس به صحة الأشياء ، لان المعيار هنا هو الشخص لا غير ، وان كان الاعتماد من جهة ثانية على العلاقات مع الأشياء لان هذه العلاقات تعتمد في النهاية على الشخص ايضا . واذا تذكرنا نظرية كانت في تقسيم المعرفة الى معرفة ظاهرة او شهادة والى معرفة غيبية ، وعرفنا منها اننا لا نعرف الغيبيات البتة ، ادركنا ان العلوم النظامية جميعها تعتمد على الظاهريات لا غير في راي كانت .

هذه هي الفلسفة الظاهرية ، ولها شبه بالفلسفة الوصفية Phenomenology التي كانت صلة الوصل بين كيركيور المائريكي والوجوديين الاولين . والشبه كائن في ان الفلسفتين تعتمدان على الانسان نفسه ، فهو المحور وهو المعيار . وهذا الاتجاه نحو اتخاذ الانسان مقياسا للحكم على الأشياء قديم يرجع الى الفلسفة الاغريقية قبل سقراط ويرجع في دور التجدد الى النهضة في اوربا ، ولكنه اتخذ شكلا فلسفيا على يد ديكارت ثم على يد كانت . اما هسرل زعيم الفلسفة الوصفية فقد حدا حدو ديكارت في اعتبار الشعور الانساني ميلا للفلسفة ، ولكنه لم يشغل نفسه بمبحث مشكلتين فلسفتين عويتين وهما اولا هل للأشياء وجود حقيقي في خارج ذهن الانسان وثانيا هل توجد عقول اخرى غير العقل الذاتي للفرد ومستقلة عنه . وبرزت البحت في هاتين المشكلتين انصرف هسرل الى بحث ما يجري في شعور الانسان في اثناء اتصاله بالعالم ، ومن هنا كانت الفلسفة وصفية ، تصف حالة الشعور . ولكنه لم يأخذ برأي ديكارت عن الشعور بأنه جزء منفصل عن الانسان وعن العالم حوله وبأنه عبارة عن وعاء يمتلىء بالاحساسات والمشاعر او بأنه ، كما يفهم من لوك ، شيء مادي تنطبع عليه الاحساسات كانبطاعها على لوححة الطابعة ، بل ربط ربطا وثيقا بين الشعور والعالم . وقال ان الحالات النفسية السلام والاشراح الصدر مثلا التي هي ابعد ما تكون عن الأشياء والخارجي ليست الا صورة من صور التأثير بالعالم . فانغماس الانسان في العالم واحاطة العالم به من كل جانب معناها ان الانسان موجود في العالم ، وكونه موجودا في العالم يفرض عليه ان يهتم بوجوده هذا . ومن هنا جاءت وجودية هايدكر ووجودية سارتر . فان هايدكر اتجه اتجاهه معاكسا لديكارت فيما يتعلق بالشعور . فقد قطع صلته بالعالم وخرج عن طوقه ووصل نفسه بالعالم الذي نعيش فيه . وهذه خطوة انقلابية خطيرة ، ولا سيما بعد ان كانت الفلسفة بعد ديكارت منصرفة الى الشعور وتحليل الشعور ومهمته بالعقل والانطباعات الذهنية . وهكذا فان الانقلاب الذي احدثه ديكارت في الفلسفة الغربية لاقي انقلابا ضده في القرن العشرين ، وهو انقلاب الوجودية . فالانسان في راي الانقلابيين في القرن العشرين لا يعيش في نطاق

عيون الشوق

لم يزل يطرق بابي
أتري ما زال نهر الشوق ... دفاقا
ولما يتكسر؟!
أتري ما زال ظلي
في رحاب البيت يسهر
وباحداق صفاري يتناظر؟!
يحمل الطوى...ويجني التين.. والورد المعطر
ينثر الطيب
ويروي ظما في قلب أسمر
يخرق الصمت ... فيشدو
نفرك الحلو الدور
بقد ... أشهى ... وأنصر
أتمناه ... فأسكر

أنا ادري
ان كاس الورد ... قد أضحي هشيما
وتبهش
وربيع الامس ... امسى
باهت الوجنة ... اصفر
وغيوم الليل ما عادت ...
على الرسوة تمطر
والاغاربا تهاوت ... عبر غابات الرزايا
ونسيم الفجر ...
قد غازل عينيك لحظات ... وادبر
غير اني عائد ... مهما تمطى
الرد في الافق ... وكبر
في غد ... أشهى ... وأنصر
أتمناك ... وإياه ..
فأسكر

الفريد سماعيل

بغداد

وترقبت بريد الصباح ساعات واكثر
واخيرا
بعد ان كادت صخور الصبر في اعماق قلبي تنكسر
وعيون الشوق تزداد ... وتمتد ... وتكبر
ومضى عبر فيافي الفيب فكري
خائفا بعدو ، فالفي كل شيء يتغير
بين ساعات امانى الحب تقدو
غيمة سوداء تنذر
جاءت الاحرف جذلى
ترتدي مسكا ... وتعتبر
وعلى صفحة حقل ... مروع ريان أخضر
تتهادى ... اي منظر
أتمناه ... فأسكر

لوعتسي؟
انسي بعيد عنك يا روضة امسي
يا هوى يفهم نفسي
جفت الافداح الا رغوطة تملأ كاسي
وعلى ثفري من نفرك سكر
موجة تملو واخرى
في صفافي ... تتسمر
في حنايا الليل تبتو
مقل الذكرى نجوما
تختفي حيناً ... وتظهر
وعلى مضجع صمتي ... نفحات العرس
... احلام الليالي
وغدي يزهو ... ويكبر
أتمناه ... فأسكر

وسؤال

الى مجالين : مجال عقلي ومجال جسماني ، مع انفصال
الواحد منهما عن الآخر انفصالا تاما ، وجعل الاتصال عن
طريق الله فقط ، تطورت في الفلسفة الحديثة الى ازالة
الحواجز بين المجالين لدى هسرل والى الخروج من
المجالين جملة الى العالم والوجود الخارجي لدى هايدغر .

حسن الكرمي

لندن

الشعور يحيط به من كل جانب ، وانما يعيش في نطاق
الكيثونة والوجود يتفاعل معه ويؤثر فيه . ومعنى ذلك كله
الانصراف عن الفلسفة الفكرية والانصراف بدلا من ذلك الى
الفلسفة الوجودية والرجوع الى الانسان نفسه ولكن بصورة
عملية مادية . ويتجلى هذا الاتجاه في فلسفة بركسون
الفرنسي ونفي فلسفة وليم جيمس الامريكي وديوي
الامريكي . والفكرة التي اتى بها ديكرت في تقسيم الانسان



سعد صائب

لوقيانوس.. الكاتب الساهر

بقلم سعد صائب

لم أشعر بأن ثمة رابطة تشدني الى ادب من ادبائنا، او مفكر من مفكرينا القدامى، اوفق من الرابطة التي تشدني الى الاديب السوري «لوقيانوس السمساطي».. فمنذ ان وقعت بين يدي آثاره عام ١٩٤٠ نفش له فؤادي ورفعت اليه نفسي، فلم امل صحبته او اجف عشرته اذ رابت قلبي كبريا يتوامض امامي، ولمست نفسا كبيرة تتفتح لي وتصبو الى قلبي. كما اذهلني قدرته على تهيئة اسباب هذه الالفة، واعجبني كتاباته السالفة العذبة التي تمتزج بالاقيدة وتسري عن الخواطر. ولكم زهوت.. اجل زهوت بما فاضت به اقلام الذين ترجموا له من الغربيين، من اطراء قلما اجرلوه لمفكر من مفكرينا، او كاتب من كتابنا قدامي او محدثين. واخال ان قوة خفية فيه اجتذبتهم اليه كما اجتذبتني، دفعتم الى هذا الاطراء الذي يزجونه كلما كتبوا عنه، او ادرخوا له.. وليس من شك في ان «لوقيانوس» المولود في «سمساط» على الفرات في القرن الثاني للميلاد، والذي خص باسمى صفات المفكر، لو عاش - كما يرى اميل شامبري مترجم آثاره الى الفرنسية، الذي اعتمدنا عليه في مقالنا - في الحقبة التي بلغت فيها الميقرية اليونانية اوجها، لنافس بابداعه، دون ريب، اعظم مفكري وكتاب القرن الخامس والرابع

قبل الميلاد. ولعل لهذه المنافسة ما يسوغها، لان ثمة عوامل جمة اسست له، اهمها ثقافته اليونانية العميقة، وذاته المتحمسة، وقلبه الذي يحس بالجمال، وتفكيره السديد، وعقله النير. وبالتالي تمثلته وهضمه نتاج المفكرين والكتاب اليونانيين العظام، بخاصة ذوي الاسلوب الانيق، واللفظة الموحية، الذين ظهروا في عصر الاغريق الذهبي، فامسى هو نفسه ذا اسلوب انيق، ولفظة موحية على الرغم من انه لم يكتب بلغة عصره، بل كتب بلغة القرن الرابع قبل الميلاد، بعد ان ارتضخ لثة هذا القرن، فكانما جاء وايهاا على نسق واحد.. ومن مميزاته ان لفته وان شابتها محاكاة من تقدمه من المفكرين والكتاب، يبد أنها ظلت اصيلة نابعة من صميمه. ولئن رأينا فيها جملة «الافلاطون» او التقينا بصيغة «لديموستين» او مررنا بذكرى «لهيروتوت» بيد انه استطاع ان يصورها كلها في بوتقة اسلوب نادر المثال، قوي السبك، له نكهته الخاصة، ورتينه العذب، يرفده توقد مخيلة، وتدفق عاطفة، وشدة احساس تنسب القلب وتصبى المشاعر.

ولعل لهذا الضرب من الكتابة مثيله مما وقع لبعض الكتاب الفرنسيين في عصر متأخر «كانتول فرانس» واغايه من ذوي الاصاله والموهبة، ممن اتوا اثر جماعة من الكتاب العظام، فاكسبوا اللغة الفرنسية مرونة وغنى.. وليس من شك في ان «لوقيانوس» اديب فنان ولغوي عظيم شب مكرًا - حسب تربيته السفساطية - على سقل جملته، ومزجها مرونة وفنا ممكنين. فبيانا نرى مواطنه «زيتون» ميلا لا يتورّد - حين تعوزه اللفظة - في اعادة استعمالها فباتها مرات عدة، نرى «لوقيانوس» يذره في تنوع الفاظه، وابتكار جملته. ومرد ذلك عند مؤرخيه ودارسيه، الى غناه بالمفردات اللغوية، مما جعله يسمو عليه، وعلى الكثيرين من الفلاسفة والكتاب اليونانيين، كما ادى به لتلمذه على «افلاطون» من نحو، وعلى «السفساطيين» من نحو آخر، الى ان يعنى اشد العناية باعطاء الالفاظ كل ما لها من جرس وقيمة، وان يضعها في موضعها اللائق، ولذا اتت جملته، وكانها تسيل من براعه مسيل الجدول، بعد ان تجلت في ذهنه على ابداع مما تنفض الالوان والصور، وبعد ان رتباها ترتيب الحاذق الخبير..

ولئن تذوق «لوقيانوس» بعمق، محاورات «افلاطون» فلرضاء عنه، واعجابه بصدق شخصياته وبعدها عن التكلف، مما حمله على الجري على متواله، واقتباس شكل الحوار الذي تبناه في معظم اهاجيه، والسير على سجيته فيها. ولقد قسر لنا «لوقيانوس» في احدى مصنفاته المفابرة التي اجراها على الحوار الافلاطوني اذ

✽ سيلاير قريبا كتاب يضم مختارات من كتابات لوقيانوس ومعاوراته نقلها الى العربية سعد صائب ومفيد عرنوق.

حلم

لم أزل تهمرني الغربة في ارض بعيدة
متعبا اذكر حلو الامسيات
وشتات الذكريات
وليالي صوفيا القراء اذ تغفو المدينة
والنجوم الحمر تبدو كفوانيس حزينة
كنت نائم
كنت كالزورق حالم
شرع اسكرته في دجى الليل نائم
فاذا انشودة خضراء في لون البراءم
أيقظتني ...
بذرايين من النور احتوتني ..
وبشوق عاققتني ..
سالتني !
أي يوم ستسافر ؟

صوفيا بدر الحبيب

والواقع جزيرة الاحلام تلك ، والتفاصيل التي يروها عن حال سكانها ، وقد بدت هذه التفاصيل عجيبة في دقة سردها ، غريبة في سخرتها ، رواها في تدفق وثقة في النفس لا حد لها ، دلت على خصب خياله وبراعة وصفه وروعة سرده .. ولقد استلهم « قصة حقيقية » كتاب غريون كثر ، كالكاتبين الفرنسيين « فنيون » في كتابه « جزيرة اللذات » و « وابلية » في كتابه الطريف « غارغانتوا بانتاغرويل » . كما استلهمها الكاتب الانكليزي « سوفيت » في كتابه « اسفانر غوليفر » ..

هذه لمحة موجزة عما اداه هذا المفكر السوري الذي شعر له الغريون فرابطوا آثاره وعرفوه منها فاحبوه وانسوا اليه ، واحتقوا به فافتنوا من عبقرته ، ولم نشعر له نحن فاعلمناه فضاقت من يدنا ثروة فكرية قل مثيلا . ويكفي ان الفيلسوف الالماني « هردر » اوصى بها الشاعر « غوته » كما افاد منها « فولتير » و « آنانول فرانس » في نهجهما الساخر ، واسلوبهما اللاذع ، اذ اقتفيا اثره ، وقللدا اسلوبه ، ونسجوا على منواله حتى سمي « فولتير » بلوقيانوس الغرب ..

سعد صائب

دمشق

قال : « بدأت اتعلم منه السير على الارض ، كما يسير الانسان ، بيد اني غسلت ما علق به من اوساخ ، واوغمته على الابتسام ، وجعلته اكثر قبولا لدى المشاهدين ، كما اشركته في الملهاة بخاصة ، واوجدت له بعد تحالفنا ، عطف السامعين ، اولئك الذين كانوا - حتى ذاك الحين - يخشون الاشواك التي كان يتسلح بها ، فتراهم يحترزون من لمسها تحرزهم من لس القنفذ » ..
اما شأنه مع « السفسطائيين » فلم يكن من طبعه تحري الالفاظ النادرة او البالية كما يتحرون ، بل كان لشدة شعوره بمواطن اللفظة ، ومدى ادراكه كتبها لا يتألي ينكر اشد الانكار الفخفة والتكلف ، ويتذوق الالفاظ الطبيعية السليمة ، فيعبر اصدق تعبير عن افكاره فسي وضوح واشراق نادرين ، ومهما امن في الهول او اغرق في الجد فان اسلوبه يظل مرصعا بالفكاهة ، مزينا بالالفاظ الساخرة اللاذعة ، ترفده بديهة وقادة ثبات القاريء من حيث لا يدري فتستأثر بلبه ، وتأسره ، وتأخذ بمجامع قلبه . ولعل ثقافته الشاملة في « الميثولوجيا » اليونانية قد زودته بجملعة من الكتابات والمقارنات السارة ، صهرت كلها في اسلوب شفاف ، يعج بالالوان الزاهية ، ويشع بالقرينة الوقادة ، ويزخر بالكاء الحاد . واذا كانت طريقته في الحوار تهدف الى السخرية والاضحاك « فقد غدت قدرته على التفنن بالحدث من اهم الركائز التي اعتمد عليها حواراه ، الذي اعتبره النقاد مثالا يحتذى ، وهما لمكانة مرموقة بين المشاهير من ذوي الاساليب المبروفة . ولعل اهم ما اسدها « لوقيانوس » للحوار استخدامه اياه في الملهاة ، وفي الموضوعات ذات الجو المرح ، وفي المواقف مبدع عهد جديد بتاريخ الحوار ..

ولا بد هنا من التنويه بانني بارز من آثاره - الى جانب محاوراته في الموتى ، والالاهة ، والحجارة والحظايا - وهو « قصة حقيقية » خالف فيها ما درج عليه في كتابة المحاورات . وقد اشتمل هذا اثر على محاكاة اقاصيص « هولييس » الخرافية وقلبيها ، اذ صور لنا فيه عاصفة هوجاء دامت تسعة وسبعين يوما ، دهمته وصعبه فحملتهم الى جزيرة سواقيها من خير ، ثم صعدت بهم الى القمر ليحاربوا الشمس ، وما لبثت ان اسكنتهم بطن حوت ، ثم انزلتهم بعدها جزيرة من جبن ، تزودوا بمائها . وقد التقوا خلال اقامتهم في هذه الجزيرة بقوم ذوي اقدام من فلين يسرون فوق الماء ، وما عتوا ان زاروا جزيرة تدعى « جزيرة السعداء » يقطنها « ادونييس » وجين التقى بهم تعرف الى « لوقيانوس » فحمله رسالة الى حبيبتة « كالبيسو » عروس الماء في جزيرة « اوجيجيا » وهي التي اطلقت سراحه يأمر من كبير الالهة « زيوس » بعد ان احتفلت به سبعة اعوام . بيد انهم لم يسلما من مغامراتهم الغريبة هذه فالتقوا جميعا الى الفرق ...
ولعل اغرب ما في هذه المغامرات ، وصف « لوقيانوس »

الشيخ الريمائي - الاب ابو هنا

فضيل النمر

بقلم البدوي المثلث

١ - الشيخ علي الريمائي

ولد في بلدة « بيت ريماء » بقضاء رام الله سنة ١٨٦٠ وتلقى دراسته الابتدائية في مسقط رأسه على والده الشيخ محمود الريمائي أحد علماء عصره وبعد ان وقف على اصول الفقه واللغة علم في « المدرسة الرصاصية » بالقدس ونشر مقالات وفتاوى في جريدة « الانصاف » (١) المقدسية لصاحبها المرحوم بندلي الياس مشحور . ثم انتسب لآل زهر الشريف وتخرج منه بعد دراسة اثنتي عشرة سنة .

وفي مصر اشتهر بقرض الشعر وارتجاله في مختلف المناسبات ونشر نغماته في بعض صحف القاهرة وفي مجلة « المنهل » (٢) المقدسية لنشئها المرحوم موسى المغربي ، وسكن بيت المقدس وعين مدرسا للفقه والعربية في إحدى مدارس القدس الاميرية وتولى تحرير جريدة « القدس الشريف » (٣) الرسمية .

وفي عام ١٩١٦ ذهب الشيخ علي الى الاسكندرية مع بعثة علمية تمثل علماء فلسطين برئاسة الشيخ اسعد الحصري وعضوية الشيخ علي الريمائي والشيخ العثماني .

وفي سنة ١٩٠٧ اصدر جريدة في بيت المقدس باسم « بيت المقدس » ولما اقلعتها السلطات العثمانية اصدر جريدة في القدس باسم « النجاة » كانت تفيض اعمدتها بنفحات قلعه نثرا ونظما . وفي شتاء عام ١٩١٩ اصيب الشيخ الريمائي بنزلة صدرية فمضى نجبه في « بيت ريماء » ودفن فيها .

نموذج من شعره : نظم الشيخ الريمائي قصيدة بمناسبة قدوم مارك بونيه الطيار الفرنسي الى القدس في ٣١ كانون الاول من عام ١٩١٤ ، وهي المرة الاولى التي حلقت في سماءها طائرة رآها الاهلون ، وقد قطع المسافة من بيروت الى القدس في ساعتين وعشر دقائق :

طار في الجو فاستثار العقول وانتهى للسماء الا قليلا
طار حيث نراه للشمس طيفا او تسراه لطيفها الكليلا
طار كالنسر اي رويدا رويدا ثم رام الفضاء ميلا فيسلا
وصل الشام من بلاد فرنسا في ثلاث فلولوا تهللوا
مصر كالبرق بالفرات فينشا ان تلتفت كان ام اللبلا
نظن قوم ان السماوات غشي فاستشاطت وهولت هويلا
ذلك العلم لا سليمان كم لك ملم فينا من معجزات اولسلي

ليس في العلم مستحيل ولا صعب لقوم ان يحصروا التفصيلا

ايه يا علم ما احيلاك لولا اني غاصب عليك (طويل)
انما انت الحياة فلم انت انت تبيد الوري فيبلا فيبلا ؟
انما انت للسلام فلم انت لهذي الحروب كنت الرسولا ؟
انت لسولا ما راينا بوقت (ددوطلا) ومن يرى المستحيلا
شيد قصر السلام لكن بقوا تك يا علم لم يكن ماهولا !
يك منا غلت ببلاد ولولا لما اصبحت فسادا ظلولا
لست وحدي غصيان قبلي (تلنو) كراي يراك امرا مهولا
انت اهلكت قومه في سبريا ومسلات البلاد منهم عويلا
لو هنا قد وفقت هان ولكن بك (طوفو) قد افرق الاسطولا
هذه منك في الوري سينات قيل هذا فهل ترى تاويلا ؟

قال هذا مني صحيح ولكن ان طبع الوجود ما قد قبلا وكشفت العلوم والمجهولا (ر) وكل يهدي الي البيلا فدا عند قومه فليبلا او ما قد اشرت هذي القولا ؟ او ما قد عمرت في القرب والثر يسي هذا الانسان اصبح انسا يسي طار الطيار (بونيه) حتى سوف يلقى الريح يوما فيمي ذاك علمي وهذه حسناسي (بونيه) كم علوت جبالا وجبارا صادفتها ام رايحا انما انت باقع كيف اصبح قمت بالجد والجهاد فجالدت في القوي غشي لفرنا هكذا هكذا التوب فان طار ايه يا شرق كم تنام تريد الحج دونك المجد في الساء فان طر انت تلهو بالاختلاف ويلهو كيف تلعو ولا تريد العبادا ؟ كل قوم لهم سبيل الى الحج قد عذرناك بالخمول فهل انت

٢ - الاب تقولا ابو هنا

ولد في قرية « بطة » من قضاء الشوف بلبنان سنة ١٨٨٨ وتلقى دروسه الابتدائية في مدرسة قرنته وفي مدرسة « المختارة » موطن آل جنيلاط ، ولما بلغ العاشرة دخل مدرسة سيدة البشارة في بيروت وبعد عام انتقل الى مدرسة اخوة المدارس المسيحية في رأس بيروت وبقي فيها سنتين . ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره انتسب عام ١٩٠٣ الى الرهبانية المخطية وسلك في دير المخلص ، قرب صيدا ، سبع سنوات ونشر مقالات عديدة وبعض الفتاوى في مجلتي « المرأة » و « المشرق » . وفي عام ١٩٠٩ سيم شماسا وانتدب معلما للصرف والنحو والبيان في مدرسة الرهبانية المخلصية وبعد فترة سيم كاهنا فعاد معلما للعربية وآدابها في المدرسة المخلصية حتى عام ١٩٢٦ .

وفي اوائل العام الدراسي ١٩٢٦ - ١٩٢٧ انتدب استاذاً للدروس العربية في الكلية البطريركية ببيروت وقضى فيها سنة كاملة .

وفي عام ١٩٣٠ شخص الى بيت المقدس لتدريس البيان والخطابة في الكلية الصلاحية وفي هذا المعهد الاكليريكي امضى ثلاث سنوات ونقل الى القاهرة كاهنًا ومكث هناك سنة واحدة وفي عام ١٩٣٥ عين نائباً اسقفياً في ابرشية عكا بفلسطين ثم اعيد استاذاً الى كلية الصلاحية في القدس وفي عام ١٩٣٨ قام برحلة الى ايطاليا وفرنسا وزار اهم مدن الفن فيهما ، وعرج على اليونان حيث شاهد آثار اتيلا العريقة في قدمها .

كان الاب ابو هنا اماما من كبار ائمة العربية وشاعرا فذا من شعرائنا المعاصرين وناقدا كبيرا وخطيبا موهوبا ورواية لا يشق له غبار ومؤلفا مسرحيا اسهم في رفع شان التمثيل ، ومربيا خرج العشرات من الطلاب النابهين ، واخيرا كان انسانا ادبيا عمزت نفسه بالحس الرقيق ، والشعور الدقيق .

وفي الحادي عشر من اذار ١٩٥٦ فجع الادب العربي بعل من اعلامه ، وخسرت القاديه ركنًا من اركانها المشهود لهم بالتضلع من آدابها وعمق تفهم قواعدها وسعة اطلاع على اسرار مفرداتها . من آثاره القليلة :

- ١ - تصوير كلوفيس : رواية عربية عن الافرنسية وهو لا يزال طالبا سنة ١٩٠٧ .
- ٢ - قسطنطين ومكنس : رواية من وضعه .
- ٣ - امثال لافونتين (في ستة اجزاء) عربية من الافرنسية نظما وعلق عليها شروحا وتفسيرات لغوية وتاريخية وميثولوجية وحواشي انتقادية وقارن بين ما قاله « لافونتين » وقاله العرب ، وبقيت السلة الاجراء الثانية مخطوطة والشرح المختص بها غير كاملة لان كتابين من الامثال لم يضع العرب لهما شرحا ولا تفسيراً .
- ٤ - البيان العربي : وضعه على النمط الاقنسي .
- ٥ - اختصر « ارجوزة النحو » للمرحوم الشيخانصيف اليازجي .
- ٦ - بناء دير المخلص : رواية من وضعه .
- ٧ - دعوة القديس متى الرسول : رواية عربية عن الافرنسية .
- ٨ - البرج الشمالي : رواية عربية عن الافرنسية .
- ٩ - العفو عند المقدرة : رواية تمثيلية الفها ابو هنا ١٩٢٨ وحضر تمثيلها الشاعر خليل مطران وقرظها بما تستحق ، وقرظتها مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ،

- (١) - سفر العدد الاول منها في ٢٢ كانون الاول ١٩٠٨ . (٢) - سفر العدد الاول منها في ٥ آب ١٩١٣ . (٣) - سفر العدد الاول منها في اليوم الاول من ابلول ١٩١٣ ثم توقفت واستأنفت سبوعها في ١٨ كانون الاول ١٩١٣ . (٤) - سفر العدد الاول منها في ٢٤ كانون الاول ١٩٠٨ .

وفي هذه الرواية تعابير عربية لم تجر على اقلام كتاب اليوم ولا على سنتهم .

- ١٠ - الامير بشير بين يونابرت والجزار : رواية الفها ابو هنا وضمنها تمنع الامير بشير عن مساعدة نابوليون والجزار حين اراد القائد الفرنسي افتتاح عكا .
- ١١ - ايمان آباءنا : عربية عن الفرنسية .
- ١٢ - تاليه الالم : عربية عن الفرنسية .
- ١٣ - حديث عن العذراء : عربية عن الفرنسية .
- ١٤ - فوضى الاقلام : بحث لغوي انتقادي مسهب على ما طبع من ديوان ابي تمام .
- ١٥ - وثقة بين الماضي والحاضر : مجموعة خمس قصائد في نحو ٣٨ بيتا في وصف الحرب .

نموذج من شعره : (١)

نحني با مقصرة الهوام
ودرس الارض ويحك من امامي
كذا زجر البعوضة لبث غاب
فاغضبها فهبت للصدام
فهما كان باسك فهو عندي
قليل غير اهل لاهتمامي
فان الشور اخدر منك باسا
وطوع هواي يهلكه اعتزامي
وقد نغخت بصور الحرب فورا
ومنها الصور والبطل الحامي
لشر قد توفرت (٢) ابتداء
وهيات الزمان على انتظام
ولم اليك ان انقضت سرعا
على عشق الفانفسر لانتقام
فكاد بين من ازباد سخط
وفي عينيه آج لي الضرام
فزمجر باغيا في الفاب رعبا
فقلل امله بين الاجسام
بسلا فصره عزم النواصي
الارثة البعوضة في احتدام
بسط (٣) فبابه نجت هاما
بلسع مئات اغشاء الهمام (٤)
فنادى خطمه باللسع داميا
فغادرت حيا وبها
ودخل نافذة في مخبره
ان صار في احمى عرام (٥)
فهو الفانفسر اعتر نصرنا
راها حاتجا والعزيز صبرا
فما وفاءه حق دماء صونا
من الاثاب والافكار حمام
ولكن كلها كانت عليه
سلاحا متخفا داميا الكلام
فيا مكين ذلك الليث امي
يمزق نفسه فرط اضطرام
بش للذبل حويله فغويا
مقارعا الهوام بالالتحام
ولم يك للهوام يد يسوء
كذلك عجيز قواص العظام
لقد بلغ الهياج به مصيرا
ان تصب الى خور تمام
الا فانكرا اليه ليث غاب
اكب لثابه فوق الرغام
وان بعوضة الحرب استمرت
بجهد التصر في ذاك اللغام (٨)
كما نادت الى الهياج نادت
بنصرتها على الاسد الحمام (٩)
ودارت نبتة البشري اعترزا
وتقرر طبلها بين الاسام
فهرت قرب ممكن عتكبوت
فلافت عنده شير الغمام

نرى بين الغنى عدى صفارا
وقد ياتون بالكرب الجسام
وقد يتجو اللسان من شر خطب
وفي انشاده يشر بالبحام

٢ - فضيل النمر

ولد في الناصرة بفلسطين سنة ١٨٨٨ وبعد ان اتم دراسته

- ١ - احد امثال لافونتين وقد عربها المترجم له شعرا ٢ - توقرت : تهيأت للشر ٣ - السقط : الولد يولد لغير مام ٤ - الهمام : الاسد ٥ - العرام : النمر ٦ - السخاف : القصور ٧ - الالتحام : الغرر . ٨ - اللطام : التقتال ٩ - الحمام : بضم اوله هو الاسد .

حينما العلم سلاحا اتبه خير سلاح
وانحاء الصرب طسرا هو مرفاة التجاح
ولنا في الصبر لمون كلما هببت رياح
فنجوم الليل في الظلمة تزداد الفساح
واذا ما الليل ولسى اشرفت شمس الصباح

وفي شهر ايار من عام ١٩٤٨ احتدم القتال بين العرب واليهود في القدس وفي غيرها من المدن وشلت المواصلات في فلسطين ، وذات يوم زار الشاعر مدينة بيت جالا ووقف على مشارفها ليرى القدس العربية الحبيبة لقلب كل عربي وراح يتخيل ما يجري في شوارعها ، مما اراده لها الفاصيون من قتال وتشريد وسفك دماء ، فجبل مشاعره بهذه الابيات :

على احدي روايتي بيت جالا ولقت اشاهد البحر الحلالا
وقد لعب النسيم بجنايبها وسار الفكر منطلقا وجالا
فما احلى الدساق وهي تبسو غلاية وما احلى الجبالا

وهذي الطائرات تحوم فوقني وقد وفدت بمن فيها عجالا
اراه في الفضاء نذير شوم فكم فكنت وكم افنت عيالا
اراه وهي تصلاه اربوا كبركان اذا تسار اشتعلا

ونك (القوس) يا ويحي تراث
وما زالت عمادا مشعرا
ويطقت في عروبتها منارا
وقلت للبلاد بشيخ هدي
وعيدا للمجد الانصبي خطيب
وكم نوح الكنايس من حشود
وما هو ذا (الصليب) اما نراه
هناك روعة وهناك صمت

وفت اسائل التالين عنها
فيا عجي اذ هم قد تانسوا
تلاثة اشهر حدث وجادت
وها هي في سبيل النمر نخفو
اصار البعد عندهم انفصالا ؟
تلاثة اشهر كانت تقبالا
بصرعها ولم تدع التفصلا
الى ان يبلغ النصر الكمالا

بكيت القوس في عهد غريب
وما شلت منازلها ولكن
ولن تلقى السلاح وقد شدنا
فلا نرعى لانفسنا هوانا
فمن غرس السلام جنى سلاما
ومن غرس القتال جنى قتالا !

ومن يواكير شعره في وصف (العيون) قوله :

ان (العيون) رسائل متوحشة فافرا لملك نغم المعنى الدفين
كم حدثني وهي صامتة بما اخفته في الاعمال من سر مصون
فيها ترى معنى الجمال وغاية الابداع يسر فيها ترمي الشعر الميمن
سجناك اللهم كيف تكونت هذه العيون النجل من ماء وطن ؟

البدي المثلث

عمان

الابتدائية دخل دار المعلمين الروسية التي اقامتها في مسقط راسه الجمعية الاميراطورية الروسية للبنين ، كما اقامت دارا للملمات في بيت جالا بفلسطين ، وبعد ان امضى في دار المعلمين ست سنوات حصل على شهادتها وكان من زملائه فيها : مخايل نيمية ونسيب عريضة وخليل بيدس واسكندر الخوري وسليم قبيص وغيرهم من الكتاب والشعراء .

وبعد ان حصل « فضيل » على شهادة دار المعلمين تولى ادارة المدارس الروسية بزرحة ، وكانت المدارس الروسية عهد ذلك منتشرة انتشارا واسعا في فلسطين وسورية ولبنان ، وكان التعليم في تلك المدارس مثاليا .

وبعد ان وضعت الحرب الكبرى اوزارها ، وكانت المدارس الروسية قد اوصدت ابوابها ، انتدبه الاستاذ ساطع الحصري وزير المعارف في سورية ابان العهد الفيصلي ، لادارة مدرسة نموذجية بدمشق . واثر معركة ميلون بارح فضيل دمشق الى القاهرة مع رجيل من اخوان له في الثورة العربية الكبرى وبعد ان اقام مدة قصيرة هناك عاد الى فلسطين خلال الانتداب البريطاني وتولى ادارة مدرسة بيت لحم الاميرية مدة اثنتي عشرة سنة وادارة مدرسة رام الله الاميرية مدة تسع سنوات ، وخلال عمله في حقلي التربية والتعليم نشر نثقات قلمه نظما ونثرا في الصحف والمجلات العربية كالآخاء المصرية والآخاء الحمصية والنفاثس المقدسية . وانهاء اجمل الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٤٨ اقتطع عن العمل وسكن اريحا شتاء ورام الله صيفا ، بقرا وبدون خواطره ، وفي ١٩٦٥-١٩٦٣ قضى نوبة في اريحا فقرر نوبة قلبية حادة ودفن في مقبرة الطائفة البروتستانتية برام الله .

نماذج من شعره : وبعد وقوع النكبة الفلسطينية تلمس طريق الفلاح لامته المشردة فوجده في (الاتحاد) وفي (العلم) الذي هو في الواقع خير سلاح فانشأ يقول :

ايها الناس ايقظوا وانهضوا فالدرك صاح
هوذا الليل يشدو وجمال الفجر لاح
ويخيط الشمس بانبت واربج الوروف فراح
هكذا الارض استغاثت ترتدي ابهى وشاح

والى الاعمال هبوا بابتهاج وانثراج
خلق المرو ليمضى في ميادين الفلاح
وليمضى في سبيل الله والحضيق الصراج

لا نقولوا اقتصب الغصم حمانا واستراج
وظفى العدوان جهرا في مقاتلتنا السلاح
وجولوا عن ربوع سهول ويطراح
يس تجدي هذه الاشجان نفصا والعياح
انما الدنيا جهاد وسبيلك كفاح

ابو القاسم الشابي

الذي الشاعر هذه القصيدة في مهرجان « أبو القاسم الشابي » في جلسة الافتتاح التي عقدت يوم الخميس ١٩٦٦/٢/٢٤ في مدينة تونس

ساطع الفرة مراح اليد
ويصوغ الدر كالزهر الندي
لمعة الشهب وفوح المبد
وانتشى الكون بلحن المنشد
وهو من مهجته في صفد
يرتدي من حمده ما يرتدي
يا لزاد من ابي اصيد
بعد اللهو فما من مسعد
غير شعر عهري منجد
سادر الاخلام ضاوي المشهد !

موغلا في موطن لم يقصد
ورماه بالمقيم المقصد
وعذاب من يثقه بسعد
جرها ان ينطفئ يتقد
ركواه قال : يا شعر اشهد !

قد تفنى بالقريض الاجود
خلف ريم لك خافي المقصد
وتفنى في ضلوع همد
بحما من بيان مفرد
وتنزلت بحال الهجد
واستلنوا مفرات الرقصد
وهي ملك للدؤوب المصعد
وهم اهل الهدى والرشد
يجتدي سامعه ما يجتدي
هي شوك في فم المزرد
واللظى ان تلتب لا تخمد
ووقاهها شر يوم اسود
فتمشت في الطريق الاقصد
هادر مثل العباب المزبد
قد خلت من كل باغ معتد
من يخض غمرتها لا يهتد
وتنأى عن عربن الاسد !

سندا يتبع ظل السند
كيف يسخو والد بالولد ؟
بعنا في غدنا المفقد !

من سما كالكوكب المنفرد
كلت عيذك بالزهر الندي
رافلات في ضياء سرمدي

غرد ملء صباه الاغيد
شاعر يفتن في انغامه
عقري مارد في فنه
ان تفنى سكب النفس هوى
هو من لوعته في صيب
كلف بالمجد من اطرافه
الاباء المر من حصته
لا يرى في اللهو ما يسعده
يومه ولي فما ينجده
يا له من صادق مكتشب

ومشى الحب الى خافقه
فاحتواه وارفضاه سكتا
والهوى الاول سهد وضنى
وبراه الشوق والشوق لظى
كلما حرقه جرح الهوى

يا سري القول والفكر ومن
كم تغزلت بازام الحمى
قد توارى في اناشيد الهوى
كم تغنيت قاصيت النوى
كم هززت العرب في غظتهم
ضقت ذرعا بهم ان رقدوا
تركوا عليهم في غربة
رمت ان يحيوا حياة حرة
رب قول لك فصل محكم
جمع العرب فكانوا قوة
اجج الثورة في انفسهم
ورعى الاوطان في نكبتها
وهداها سبلها قاصدة
صاغه راق الى اسمى الذرى
قد تمنى ان يرى اوطاننا
وتمنى ... والاماني ضلّة
ثم اغفى في غيابات الردى

يا ابا القاسم قم تلف الحمى
ليس فيه مارق يخلده
انه في حزننا ان نلعه

يا ابا القاسم يا فد الحجي
هذه (تونس) في فرحتها
النجوم الزهر فيها والمنى

قد تساقوا بالنشيد الفرد
فشدوا بالذكريات الجدد !

صيحة الحق وظل الابد
تتخطى بالجنى والرغد
لؤلؤها من ضحاه الاسعد !

عزة العبد وذل السيد
هو ذوب القلب فوح الموقد
وعزاء لقريب مجهود

تجعل الفدقد غير الفدقد
في رباهها ساحرات القيد
خلعة ، واستل شوك الحصد
ما يجليها جلاء الاثمد
درا عزت على ذي العمد
بقربى نافذ كالزرد !

وهو ما زال اسير الخرد
فاتنات بالصبا والبرد
من فؤاد مستطار مشهد
فانشى ظمآن لم يتبرد
تفتلي وجدا فيا للكبد
ومناجاة حبيب مبعود
ببصر اليوم بافغان الفد

فاختفى الموت وراء الموعد
من كالورد قصير الامد !
من قوافيك الجياد الشرد
يتغنون بها كالرصد
بعدت شأوا عن المتقد
قد سما وهجا على ذي رمد
وانشرح في الخلد صدرا واسعد !

منزلا ينأى عن المجتهد
بك طماحا لها من يقتدي
أين منه نافات القعد
تتقي غير نبيل الولد
راح يزري برفيف المسجد
غير شعب عربي المحتد
لم يفر عرضا ولما يزهد !
ظله يهفو له في كبد !
خير اهل ان تنأى بلدي
من حمى الضاد وغاب الاسد
لم يغب شاعركم عن خلدي
مهبط الوحي وماوى (احمد)
من شريف الذكر حر انجد
بشريات جمعت من بيد

رحمة الضاد والشعر هنا
ذكروا الشاعر ينبوع شذى

انما الشاعر في آفاقه
دوحة سامقة مورقة
ومنار يملأ الدنيا سنا

يا معنى بالهوى في بوحه
جوهر من كلم او نغم
فيه روح لشريد مصحر

ريشة اودعها الله يدا
روضة فينانة الحسن شدت
جعل الخير شعارا ، والندى
وهفا يهدي الى ابصارنا
ومضى بسكب في اسماعنا
وانبرى للفاصب المستعد

اي عان شفة داء الجوى
زمر القيد تسخن له
فأراق الدمع قربان هوى
يعشق الحسن وكم هش له
كبد تصلى من الشوق لظى
لم تنزل تحيا على وعد المنى
هكذا الشاكي جراحات الهوى

وعند الشورى افراسه
يا له من عمر مختصر
يا ابا القاسم لم عن شرد
واترك الخلق حيارى سحرها
انها من ملهم مبتكر
انها نور ذكاء في الضحى
فتنها يا فتى الشعر بها

يا فتى الآداب احزرت بها
وعريقا في المعالي يقتدي
سمرق الوسمي سحر كله
روعة في اللفظ والمعنى فما
سلسل يختلب اللب وكم
لم يكن يعينك في جهد المنى
وافر العرض وكم من شاعر
همه الدينار عبدا عاش في
يا بني امي وفي « تونس » لي
جئت من (مكة) من (ام القرى)
جئت من ارض الهوى ابكي الهوى
بلدي الطيب نبراس الهدى
اتهادى الشعر سحري السنا
من زها ناديه واخضرت به

في مهرجان الشابي

القيت في مهرجان « أبو القاسم الشابي » بمدينة « توزر » في تونس :

يا بلادا ملء قلبي وفمي !!
للإبادة الصيد ، من منهم دمي
تنشر العز لنا في الامم
والنهي يجترها في العلم !
بشذى الطيب وزهر العندم
توجت (بالاطلس) المعتصم
قلت : يا نفر تمهل والشم !
ورؤى من امننا المنصرم ؟
أنجبت مثل (زياد) اللهم ؟
يا رؤى من فجرنا المتسمم
خالدا مثل خلود الانجم
شرف الحرف ، وحلو النفس
فوق ليل مدلهم مظلم
حركت كل فعيد ملجم
ومضة الفكر ، ووحى القلم
كل لحن خالد مستلهم ؟
جر اذبال السنا في القمم
مرة اقناها .. كالملة
علمتي .. كبرياء الالم
انا منها في دجي في عيلم
بد اني حائر لم انعم
انت فوق الموت ، فوق العدم !

تونس الخضراء .. طيبي واسلمي
أمتي العرب .. وانت موئل
قد عشقت اليوم فيك نهضة
كل امجادك تستهوي الدنيا
الثرى فيك جنان عيقت
والمروج الخضر فيك قلعة
كلما لاح لعيني .. منظر
كيف لا اعشق فيك مشهدا
لم لا يكبر قلبي .. أمة
تونس الخضراء .. !! يا مهد السنا
جئتك اليوم احبي شاعرا
شاعر من عبق أمجاد
مر في الدنيا ، كما مر السنا
صيحة للحق منه انطلقت
لا تقل مات .. فلن يفني الردى
كيف ننسى بليلا اسمعنا
أيها الشاعر .. يا من مجده
جئتك اليوم لاشكو غصة
جئت اشكو من حياتي قسوة
مثلما كنت تعاني غربة
انت عنها ناعم في غفوة
يا (أبو القاسم) يا صنو الحجي

مقبل العيسى

جدة

وسراها للطريق الجدد !
انت ما زلت هنا فخر الندي
فاليك الوجد لما يرقد
يتراءى فيه اجلى فرقد
هو للفصحى ندى واسترقد !
من « عكاظ » زاهر او « مرند »
ركزوا للمجد اقوى العمد
هو كالروح سرى في الجدد !
كلها للشعر عطشان صدي
من عماليق القريض الابدد
وتسلفتم لها اسنى يد
بالعلى واستشرفت للسؤدد !
فابتهج بالمجد ، واهنا ، في غد !

حسن عبدالله القرشي

هي تجوى (العرب) في وحدتها
يا ابا القاسم هل من نفحة ؟
يا ابا القاسم قم من رقدة
محفل الشعر تصباك فتى
فارقد الحفل بشعر رائع
مهرجان الشعر احييت لنا
ما ادى الا الهاليل الالى
جددوا للشعر عهدا يانعا
يا بني امي شفيتم اكيدا
كرموا في كل حين نانعا
دنتم الفصحى تراثا خالدا
فرعى الله ربوعا اخضبت
يا ابا القاسم ايقظت الحمى

الرياض

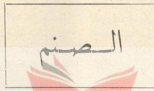
رفيقة هادئة ، وبدا كأنه يخرج من حلمه ، فتشجعت الزوجة واقتربت منه ورفعت رأسها إليه مفتوحة العينين ووضعت يدها على خدها تنتظر حديثه في سكون ولهفة .

وقال محمود : اشعر الان كأنني تلميذ في لجنة امتحان ، ولكن السؤال سهل والجواب عليه هو الذي يحتاج الى جهد ، وقد أحسست عندما قلت اني قد اريح نفسي اذا حدثتك عن سر زينب اني سأستريح فعلا اذا تحدثت مع اي انسان عن ذلك ، فكيف اذا تحدثت به لك انت ، وشعرتين بعد قليل تفسر ذلك واني اشعر بانني أحمل كثيرا من الوزر في ان زينب بقيت عانسا الى اليوم ، ولكني فعلت ذلك « عن حسن نية » كما يقولون ، أو بتعبير أدق ، كنت في حالة عدم توازن وفقدان للشعور بحيث لا اعرف الخطأ من الصواب . وسأبوح لك الان بكل شيء - وليس في ذلك ما يزعجك أو يعينني - لأريح نفسي من التفكير والإحساس بالذنب ، ولتقولي لي : هل أحسنت فيما فعلت ، أم أسأت الى فتاة منكوبة عن غير قصد مني .

تقدمت الزوجة بمقعدها في حركة سريعة حتى لاصق مقعد محمود مواجهة له واقتربت منه حتى الصقت ركبتيها بركبتيه ، ووضعت مرفقيها على ركبتيها وخديها فوق يديها تنظر بعين فاحصة وتسمع بكل وجودها وقد ركزت كل احساساتها ومشاعرها في اذنيها وعينيها لتسمع : « عرفت « زينب » في صبيان صبيين في مطلع الشباب ، وفي صباها كانت الحواجز والموانع ، التي لم يدرها جيلكم ولم يحس صرامتها وقسوتها وجبروتها ، هي التي تتحكم في صلة الفتاة والشباب ، ولكن ذلك لم يمنع من قيام علاقة ساذجة بين شاب وفتاة ، حتى لو كانا في قرية ، على اننا كنا بعد الاجازة تنتقل الى القاهرة ، ولم تقم بيني وبين الفتاة علاقة خاصة لسبب واحد : هو ان اخي سبقني

في الهرب من الجواب وتشفق الزوجة من الاحاح في هذا الحديث ، فهي تعرف شعور زوجها الرقيق واحساسه المرهف ، ولكنها في هذه المرة استبدت بها الرغبة في معرفة ما عنده عن هذا الامر ، فهي تعرف بفريضة المرأة التي لا تخطيء ان عنده شيئا يعرفه ويحرص على كتمانها .

وكان « الجو النفسي » والعاطفي بين محمود وزوجته في ذلك اليوم يسمح لها بالتقدم خطوة اخرى في الحديث عن هذا الموضوع ، فسان الزوج لم يظهر عليه الضيق الذي كان يشمل وجهه كله ويسيطر على



بقلم محمود الشرفاوي

http://Archive.etaarakim.com

في كلامه ، والخبر عن الزوجة كان حركتها منها وتدلرك دلالتها . كان محمود في تلك الساعة يندمج في حلم من احلام اليقظة . وقالت الزوجة: تريحنى يا محمود وقد تريح نفسك لو أخبرتي عن السر في عدم زواج زينب الى الان ، وعن المعاملة اللطيفة التي تخصها بها ، والتي اشعر ان ورادها شيئا ما ، وأؤكد لك صدق احساسي وبقيتي باخلاصك لي وان هذه المعاملة لا تبطن اي معنى من المعاني التي تخافها المرأة ، او هكذا هي على الاقل الى الان . . !

وظهرت على وجه محمود ابتسامة



خرجت « حفرة الناظرة » وودعها محمود وزوجته الى باب المنزل الخارجي ، ثم عاد الزوج مسرعا فجلس حيث كان يجلس في « الاتريه » وعلى وجهه دلائل التغير وسحابة خفيفة من الالم ، ولحقت به زوجته ، وقبل ان تجلس الى جواره قالت تحدثني :

لماذا لم تتزوج « حفرة الناظرة » كما كنت تناديهما تطلقا ومزاحا لست ادري لماذا لم تتزوج الى الان مع اني سمعت منها ومن غيرها ان كثيرين من الرجال خطبوها . . . حقيقة ليست جميلة ولكنها ايضا ليست ديمية ، وفوق ذلك لها مركز ووظيفة ومرتب كبير : اربعون جنيه ويمكن اكثر ، وبعد فترة قصيرة من السكوت استأنفت تقول : يظهر ان المرأة عندما تكبر في السن وتفوتها الفرصة تصبح مترددة وموسوسة تشك في كل شيء ولا تقدم على شيء ، فقد حدثتني « حفرة الناظرة » عن اسباب رفضها بعض خطاها ففهمت منها انها تخاف من كل شيء ومن كل رجل وانها « خلاص باه » رضيت بذلك .

كانت زوجة محمود تتكلم بهذا الحديث وهي غير ملتفتة اليه ، بل ترتب بعض المفارشات التي اختلت اوضاعها من اثر الجلوس وشرب الشاي ، ثم نظرت الى وجه زوجها وقالت :

الاحظ انه كلما زارتنا « زينب » تحدثت اليها في مرح وتلطف يخفي وراة بعض الاضطراب ، فاذا خرجت تولاك سهوم وتفكير وشيء من الكآبة، هل انا مخجلة في ملاحظتي . . وهل يضايقك مني هذا الحديث . . .

ونظرت الزوجة الى وجه زوجها واطلت بعينيها الجميلتين القويتين على اعماقه تنتظر الجواب .

ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي يجري فيها مثل هذا الحديث بين الزوجين عن « حفرة الناظرة » وعدم زواجها ، وفي كل مرة يتلطف الزوج

الى هذه العلاقة فاستلحت له الطريق وكلفت نفسي وحجزتها ، واستطعت : كتب لي كلمة صغيرة على ورقة صغيرة مرفقا من كراسة : « انها تحبني » . وكان لا بد لي ان اكون على صلة بهذه العلاقة ، او هذا الحب ، بين اخي وبين « زينب » ، بل على قسط من المشاركة فيها ، فقد كانت في مدرسة داخلية ، الرسائل التي الطالبات فيها متنوعة بناتا ، وكل غريب يقابل تلميذة لا بد ان تكون معه رسالة من ابوها او ولي امرها للنظر . وكان والد زينب ، لامر لا اعرفه ، يضع ثقتي في دون اخي ، ربما لضر سني ومظهري الهادي الحذر ، او لان حاسته كآب ادركت ان شيئا قد يقع بين بنته وبين اخي .

المهم اني ، بحكم هذا الوضع ، كانت فرصتي للاجتماع بها اكثر من فرص اخي ، وكان - هو وهي - يتقانا في خلقي وكتمانتي . لذلك كله كنت مطلما على علاقتهما ، وكنت ، في نفس الوقت ، اصف عند حدي واعرف ما تسمح به الظروف والضرورات من هذه العلاقة ولا احول ان اعرف اكثر من ذلك ولا اطلع .

ودامت هذه العلاقة بينهما ثلاث سنوات لم تخرج عن حد الاخوة والصداقة ، ثم سافر اخي الى فرنسا ، وكانت رسالته اليها تصل الي اولا داخل خطاباته لي فتصل اليها مقلدة ثم تقدمها الي مفتوحة ، بعد ان تقرها فاحتفظ لها بها ، لا تحدثني نفسي بان اقرأ ما فيها ، وربما لم يكن سبب ذلك الامانة والسيطرة على النفس فقط ، بل كان من اسبابه اشفاقي على نفسي مما فيها ، فلم يكن قلبي خاليا من « شيء ما » نحو زينب ، ولا تؤاخذيني الان على ذلك يا زوجتي .

قاسرت يد الزوجة تربت على خد محمود ولم تتكلم ولكن لمعت عينها ببريق لا يخلو من اثر الدموع ، واختلجت شفتاها .

وقال محمود : ثم كانت التوبة التي تعرفنيها ، في جنوب فرنسا ، وحلت الفاجعة بنا جميعا : اخيه واخشته وزوجة ابيه التي لم يعرفوا غيرها اما ولم تر لها ابناء سواهم ، وزينب معنا : وقعت مضى عليها عندما جاءها الخير وليست السواد ولم تخش احدا ، وهزلت واضمحلت حتى لامها الناس واشفقوا عليها وعجبوا لامرها . وكنت انا وحدي الذي يعرف سرها ويدرك مصابها وبلوها ، وكانت في ذلك الوقت مدرسة تؤمل وتحلم بالبيت السعيد وعشرة الشاب الذي احبها واجتته خمس سنين ، بقيت تنتظرها ليلة بعد ليلة تجالذ وتفكر وتصبر .

وجاءت « صناديق » اخي وكتبه وحاجياته من فرنسا فلم افتحها ولم استطع ان امد لها يدي او يقع عليها بصري ، لا انا ولا احد منا . وبعد شهرين تلقيت رسالة احتر كيانتي كله عندما وقع بصري عليها واستولى على العجب عنهما قرأت العنوان المكتوب عليها : كانت من فرنسا ومرسلتها الى شقيقتي ، وكان لابد ان افصحها .

صفحة من كتاب « الحزن » من صفحة ، من زميلة لآخي في الجامعة تقص فيها على اختي ما كان بينهما وبين اخي من الحب المظلم العنيف ، وكانت الرسالة تفيض بالحب والحزن الى درجة مثيرة ، ومع الخطاب صورة الصديقة الحزينة وعزاؤها لشقيقتي التي كانت تسمع اسمها منه كثيرا في احاديثه ونجواه .

وقرات الرسالة مرة ومرة وانا في عجب وحيرة : هل كان ذلك حبا حقا ؟ ام انها اوامام فتاة من بنات السن ٤٠ ؟ ولكن حرارة الرسالة وصدق عاطفتها كانا يشعراني بان الامر اكثر من وهم .

وفكرت في « زينب » الحزينة المنكوبة التي تقاوم وتقاالب ولا تستطيع ، ولكنني لم احداثا بشيء طبعاً ، لاني لم اكن استطع ان اذكر اسمه او المح الى سيرته معها ولا مع

غيرها . كانت الفجيعة جرحا ممضا عميقا عميقا لا استطع ان اسفه ولا ان يمر به نسيماً ولا ذكر ، ولاني - كما قلت لك - كنت في حالة من التلاشي والانهايار بحيث لا استطع ان اعرف الخير من الشر ولا الصواب من الخطا ولا النور من الظلام .

ومرت الايام والسر الجديد الى جوار القديم لا يعرفه احد ، حتى اختي التي جاءها الخطاب من فرنسا لم تعرفه .

ومضت سنون لا ادري اليوم كم هي ، حتى استطعت يوما ان اضع يدي على « الصناديق » التي ظلت في ركن حجرتي هذا العدد من السنين منذ وصلت من فرنسا ، واستطعت شيئا فشيئا ان افتح بعضها وانسا اثر فق وانلمس ، كانما هي نار تحرق ، ووجدت في بعض هذه الصناديق « كتكولا » كثيرا عرفت فيه خط أخي الذي جعلته القربة - وربما غيرها - قلنا مسرعا مضطربا ، ولا ادري كيف استطعت يوم ذاك ان افتح واقرأ . ووجدت بين احاديث اخي تلك الصفحات من تلك الفتاة التي راسلت اختي وحدثتها عن حبا لآخي وحبه لها ... وبين تلك الصفحات من الكشكول صور كثيرة لها ، وله معها في نزهات وخلوات .

لم تكن اذن اوامام فتاة من بنات السن ٤٠ . ففرت الى ذهني صورة زينب الحزينة المنكوبة التي تقاوم وتقاالب وتعيش مع الاحلام والذكريات والتي جاءها في تلك السنين ، التي نسيت عددها ، كثير من الراغبين وهي تردهم وتقدم : وجهها منكفيء الى الماضي الذي ولي . لو تعرف ... لو تعرف المسكينة هذا الوهم الكبير الذي عاشت فيه وضيعت ما ضيعت من عمرها وشبابها ... ولكن : لعلها سعيدة بالعيش في هذا « الوهم »

✽ كتاب « اعصار ونسائم » مجموعة من القصص والشعر العاطفي ، تحت الطبع ، يصدر من بيروت .

رائعة

حبها ، يا حكاية لانوجاعي
يا دوام اشتياق حلمي المعنى
عند رفات طيفك انهار بسوح
شاقني التيه رفرف الوصل صوب
اي آه تمادت اللقطة المفنّاج
اطفعتك الالعان خمرا واوخت
غصة انت جمعت في مدى لح
جودج رجي

لست ادري ، فهل تستطيعين ان
تجيبى ؟
ولم تجب الزوجة وبدت كأنها هي
لم تسمع سؤاله . واستأنف «محمود»
يقول : احيانا اشعر بأنني مذنب احمل
وزرا ثقيلا يضيق له صدري وينوء به
صبري ، واحيانا اشعر بأنني بريء
برأءة طفل ، واحيانا اشعر بأنني في
تيه لا استطيع ان احكم على شيء ولا
ان اميز شيئا من شيء ، واحيانا
احس بأنني ضحية ، جنى عليه .
كل ما اعرف الان اني بدأت استريح
شيئا ما بعد ان بحثت بما في نفسي
وانزلت عن قلبي حملا ثقيلا ووجدت
من يشاركني بعض هذا الحمل الذي
شقيت بحمله وحدي دهرًا طويلا .
قالت الزوجة - وقد بدأت تنهض
متكة على كتفه : لا استطيع ان اجيب
يا محمود ، انك كنت اداة في يد
القدر ، رشقة في مهب الريح ،
« شيئا » مدموم القصد والارادة ،
انسانا معدبا مسكينا بلا ذنب ولا
جريرة . وكل الذي اقولهُ : انك
يا زوجي ملاك ...
ووضعت على خده قبلة وهي
تسرع تخفي عنه دمعها .

مصر الجديدة محمود الشراقوي

الكبير » ، لعلها سعيدة سعادة المرأة
التي احبت انها ضحت وجاهدت
واخلصت وصبرت وتجدت ، ولكن:
اخلصت لاي شيء ؟.. لمن ؟..
اخلصت لوهمها وذاتها واحلامها
وماضيها ، وهي تشعر بمثل تلك
السعادة التي تحسها الشهيدة وهي
تلقى في النار او تواجه العذاب
والموت . انها تؤمن « بفكرة » وتحبها
وتخلص لها وتعيش فيها وتراعها
« نصيبها » المحتوم من الحياة ، وهي
راضية بهذا التصيب بل لعلها سعيدة
به ، « عيب » نصيبها « هذا قائما على
وهم ، وهل الحياة الا وهم كبير ؟..
وهل اذا اخرجتها انا من هذا الوهم
اخرجها الى وادي النسيان والسعادة؟
ام اخرجها الى وادي التيه والعذاب؟
فتفقد اعتقادها بأنها شهيدة المقادير
والحياة وعزائها بأنها ضحت واخلصت
وصبرت وضربت للوفاء مثلا ، ثم
لا تكذب عوفا عما فقدته سسوى
الشعور بالهوان والمذلة وانها كانت
هزاة وسخرية . لم تكن سوى فتاة
مخدوعة .

ومن العجيب - ولعله ليس
عجيبا - ان مذكرات اخي تلك كان
فيها ذكر « زينب » وجبها الى جانب
فتاة الفرنسية وجبها ؟.. ولكن
ذلك ان يعبر من الامر شيئا ، بسـل
لعله ان يزيد سوءا وشرا !
هل احدث « زينب » بأسر تلك
الفتاة وامر اخي معها لعلها تنساه
وترضى بغيره فتتزوج وتعيش كما
يعيش الناس ؟.. وهل تفعل ذلك اذا
حدثتها ؟.. ام انها تكفر « بالصنم »
والحياة معا بعد ان فقدت « عبادتها »
وجوهر حياتها وروحها ، وان كان
هذا الجوهر هو الحزن ، وهذه
العبادة هي الوهم الكبير .
لعلها هي في وهما وحلمها أقر
عيننا مني انا الذي يعرف « الحقيقة ».
ظلت اياما واسابيع « وربما
سنوات ، اردد في نفسي وخاطري
هذه الاسئلة وهذه الفروض ، وكلما
تقدم لها خاطب دعوت الله ورجوت



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الآداب بالجامعة الأردنية

هؤلاء الدعاة

العامية التي يتحدث بها الناس .. هي لغة ؟ .. أم هي لغة ؟! ما هي بالنسبة للعربية الفصحى ؟! أنها تختلف عن الفصحى دون شك ، واختلافها واضح ، نستطيع ان نحدد ، ونبين صفاته ، دونما جهد او اعمال فكر .. وان زعمنا ان هذه العامية لغة قائمة بذاتها ، تختلف بين قطر وقطر ، من بلاد العربية الواسعة ، فما نحن وهذه اللغة ، التي تختلف عن الفصحى ، الرابطة الوثيقة ، التي تربط العرب بعضهم ببعض ، من الخليج الى المحيط ؟!

كانوا يقولون : ان هذه العاميات اللبنانية ، في اطار الوطن العربي الكبير ، بقايا بقية ، من اوزار عهود الانحطاط ، التي فُرِست على العرب ، بعد ان غلبوا على امرهم ، واصبحوا نهباً مقسماً بين الدول التي اجتاحت ارضهم ، والغزاة الذين قهرهم ، واستمر ذلك حيناً مديداً من الدهر ، استمر منذ دالت دولتهم في بغداد ، وتوالى حتى الامس القريب في الجزائر ، وما زال يتوالى في انحاء كثيرة من بلادنا ..

كانوا يقولون ذلك .. ويشيرون الهمم لكافة هذه

العامية ، لتعود للعرب لغتهم الفصحى ، ويعودوا امّة واحدة ، ذات لسان واحد ، وتاريخ واحد ، ووطن واحد . ولكنها بدأت تغلو في الاونة الاخيرة اصوات ، من العرب التحريرين في اوطانهم ، وليست من المستعمرين ، وانغاضهم لا تخفى .. هذه الاصوات تنبعت احياناً ، تدعو الى الابقاء على هذه العامية ، ما دامت قد سجلت نصراً مؤزراً ، في المسرح والسينما والاذاعة ..

وتنبعت احياناً .. تدعو الى مزجها بالفصحى ، والخروج من ذلك بلغة مبسطة ، يسمونها (الفصحامية) ، اي الفصحى ممزوجة بالعامية ، ويبسدون لهذه الدعوة حماساً بالغاً .. بل تكتب في ذلك ابحاثاً مطولة ، مجلات اسماءها بارزة ، ومن كتاب معروفين .. وتصدر في ذلك كتب بين شعر ونثر ، وكان اجرا هذه الكتب ديوان (بارا) بالعامية اللبنانية ، والحرف اللاتيني ، وهو لسعيد عقل .. ويلي في الجراة ، ديوان (اليش) ، وكله شعراً عامي ، باللهجة اللبنانية ، وفيه تمرد مطلق ، على قواعد اللغة العربية ، وهو لميشال طراد ..

تري .. اية بداية هذه ؟! والى اين المنتهى ؟! اترانا سنكون بذلك كالساعي الى حتفه بظلفه ؟! اتراه دعوة مبطنه الى خلق (مالطا) جديدة ، في كل قطر من اقطار الوطن العربي ، تنقلب فيه عاميته ، الى لغة خاصة به ، ترفع لها اسلوب جديد في الاملاء ، او تكتب بالحرف اللاتيني .. كما هو الحال في لغة (مالطا) التي هي لغة عربية ، لا تختلف عن لغة اهل المغرب العربي في شيء ؟! ابشر يا عربي .. الى اي هدف يهدفون ؟! .. والى اية غاية يتجهون .. ؟! هؤلاء الدعاة !!

غاية .. وطريق

قال لي وهو يقف امام لوحة من الرسم التجريدي : هل تستطيع ان توضح المدلول من هذا الذي تراه انت ، واراه انا ؟! حذار ان تتوهم بانني اختبرك .. حذار ان تتوهم هذا .. فانا - نفسي - لا استطيع ان احدد هذا المدلول ، فهل تستطيع ذلك انت ؟!

واذهلني مفاجأة السؤال .. فلقد كنت احقد بذلك الرسم التجريدي ، ولكنني لم استطع ان اوضح المدلول ، الذي يشير اليه .. ومن اين لي ان اعرف ذلك المدلول ، وما في اللوحة لا يزيد على الوان متشابكة ، وخطوط يعارك بعضها بعضاً ، وفجوات من الضوء هنا وهناك ، تتوزع في جوانب تلك اللوحة ..

ووقفت ابتسم في وجه سائلي ، وانا ارد عليه بقولي : ان من سيقنا من الناس ، حكموا بان المرء لا يمكن ان يحيط بأسرار شان من الشؤون ، ما لم يستوعب قواعده ، ويعرف اصوله ..

فقال يقاطعني : ارجو ان لا تصل بي الى مدرسة (المشائين) من الفلاسفة ، وحسبك ان تذكر لي مثالا على

ما تقول ..

قلت : المثال على ذلك بسيط هين ، ولن يصل في مدها الى حافة الفلسفة ، لا عند (المشائين) ، ولا عند (الرواقيين) ، ولا عند سواهم .. وانك تعلم ان المرء ، لا يمكن ان يتذوق الشعر ، ويتفهم معناه ، ما لم يكن له المام بقواعده واسسه . فاذا ما كان له ذلك ، استطاع ان يدلك على مواطن الجمال في ذلك الشعر ، ان كان في ذلك الشعر ، شيء من مواطن الجمال .. وفيما عدا ذلك .. فان الشعر عنده يتساوى بالشعر ، كما يتساوى بأي شيء عداه ..

قال : هل افهم من كلامك ، انك تريدني ان اتعلم هذا اللون من الرسم ، حتى اصل من ذلك الى تفهم اسراره ، وادراك ما يرمز اليه من مدلول ؟؟

قلت : لست اريد ذلك ، وانما الذي اريدك ان تفعله ، واريد ان افعله كذلك ، هو ان تقرأ شيئا عن هذه المدرسة ، التي ابتدعت هذا اللون من الرسم ، وعندها سوف يهل علينا ان نقدر الجهد الذي بذل في انجاز مثل هذه اللوحات . قال صاحبي : وذلك امر بطول .. ويطول .. قلت : وهل ظننت احدا ينتهي الى غاية ، ما لم يقطع اليها الطريق ؟؟

لو فعلت ذلك

حين تستقبل يومك مع الصباح الجديد ، يكون بالغ همك ان لا تصل اليك مساوئ الناس ، وكأنما لسان حالك يردد :

وان امرأ يسي ويصبح سالما من الناس الاما جئني .. تسليفا ؟؟ ويظل همك الاول والاخير ، ان لا تصل اليك مساوئ الناس ، وان تبقى سالما من شرهم ، بعيدا عن اذاهم .. ذلك شيء يبلغ حد اليقين في النفوس ، ولست وحده تنفرد فيه ، بل يشاطرك فيه الناس جميعا ، وليس ذلك وليد يومك او امسك القريب .. لا .. ليس ذلك كذلك .. بل هو قديم .. من ايام حسان بن ثابت شاعر الغسانة ، ثم شاعر الدعوة النبوية الكريمة من بعد .. ومن ايام سبقت حسان بامد طويل .. فاناس هم الناس ، وتطاحتهم في ميدان الحياة ، بدا منذ بداوا ، وما اقدم ذلك العهد . فليس في الامر اذن مجال للنفي والاثبات ، ما دام قد وصل الى حد اليقين ، الذي لا جدال فيه ، ولا اجتihad ولا تاويل ..

والشيء الذي بقي بين يديك ، هو ان تسأل : عن اسباب هذا الشر ، الذي يخبئه الناس ، ويفاجؤوك به من حيث تدري ، او لا تدري .. وان تسأل نفسك قبل ان تسأل غيرك ، ولسوف تسمع منها اذا ما تجردت عن الهوى ، انك شريك مع هؤلاء الناس في كل ما يصيبك منهم . وهذه المشاركة اسهمت بها دون ان تفكر بعواقبها .. اسهمت بها : حين رايت نار الشر مضطربة في وجه

زيد من الناس ، فزدها ضراما .. حين قابلت شره بشر من مثله .. حين سمعت الهجو على لسان عمرو من الناس ؟ فاضفت اليه هجوا ، فاستحال الى ممركة .. حين لمحت التحفز من حاسد او حاد ، فتهبت له بتحفز وترقب فكان صدامكما عنيفا حين وقع ..

اسهمت بهذه المشاركة ، حين فعلت ذلك كله .. ولو انك وقفت عند الآية الكريمة ، التي تقول : « ادفع بالتي هي احسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة ، كانه ولى حميم .. » ، لو انك وقفت عند هذه الآية الكريمة .. ولم تتجاوز حدود مدلولها .. لو انك فعلت ذلك .. لكبحت جماح كل شر ، ينحو نحوه اليك .. ووقفت كل معتد عند حده ، فارتدت عن عقبه ، وانك قادر على ان تفعل ذلك .. فما لك لا تفعله ؟؟

غذاء الجسد .. وغذاء الروح

انه عائد من المنفى .. المنفى الذي كتبه على نفسه ، بعد ان دفعه طيش الشباب الارض ، وحماس الفتوة الحمقاء ، الى ان يباشر من الاعمال ما يضع القانون فسي آثاره ، يقتضيه ان يجلس به مجلس العدالة ، ليحاسبه على ما قال او فعل ، حين مال عن الجادة ، وتخطى الصواب .. وقلت له اسأله : كيف مرت بك هذه الغيبة الطويلة ؟؟

فغام وجهه ، وتقلبت اساريره ، وزم جوانب عينيه ، كأنما هو يتخلف في بعيد غير منظور ، ويقرأ من صحيفة طواه الزمن ، ووقفت عليها الايام ، وقال : لماذا تسميها غيبة طويلة ؟ ما لك لا تسميها تشردا ؟ ما لك لا تسميها ضياعا .. كاني بك تعجب .. بل كاني بك تتساءل : كيف تكون كذلك ، واهلك ذوو يسار ونعمة ، وما كانوا ليغفلواك ويتخلفوا عن امدادك بما تحتاج اليه .. كاني بك تفعل هذا .. ويفجب عنك ان الحياة لا يغني فيها جانب واحد عن سواه من الجوانب ، وان قوام هذه الحياة لا يمكن ان يتكامل ما لم يتوفر فيه غذاء الروح وغذاء البدن .. ومن اجل ذلك قالت تلك البدوية في بعيد ايماننا ، حين وضعوا في حياة الرفاهية ، في قصرها الشامخ في دمشق .. قالت وهي صادقة كل الصدق :

ليست تخفق الارياح في احد الي من قصر منيف ولا عجب ان تقول هذا .. فبي لم تجد في ذلك القصر غير غذاء واحد .. غذاء الجسد وحده .. وما كان الانسان ليعيش في غذاء الجسد وحده ، ثم يكون مستمتعا في حياته ، مهما كانت هذه الحياة منعمة مرفهة ، موطأة الجوانب .. وذلك ما تذوقته انا .. تذوقته بكل ما فيه من غصة ومرارة والام .. وما كان ليحجيني هذا ، ما يصلي من مدد ، وكفي حاجتي وزيد ، فاحسست بتلك الحرقعة ، التي كنت اسمع الناس يتحدثون عنها ، وهم يصغون حينئذ الى الديار .. وتذوقت حرارة الفضة ،



الريفية المهاجرة

يا جنة الحرمان
ما فتحت
لتيسم غنى لها قبله
يا صعبة
بالنفر باخلة
انا لا احبك في الهوى
سهلة
يا حلوة
عن ريفنا اغتربت
وجفونها بالدمع
ميتة
فأتيل حور
كان يفمرها
ويمد فوق جبينها
ظله
عودي لبيت
صار منفردا
متلهف القريميد
في التله
فؤاد الخشن

يا حلوة في الريف
قد اخذت
في اللين عن شربينه
دثله
طلعت
فقيل الروح مطفرة
بالسحر والاغراء
منهله
وبسفحنا صفافة شهقت
للفتح والايقاع
في النقلة
يا طفلة
ففي ما تسألني
عما تزال بعلمه
طفله
الحب
من اوحى لشاعره
وعلى دروب الوجد
من دثله ؟

ذلك مجمل حالي خلال غيبتني الطويلة .. وحين اذن
لي ان اعود الى الوطن ، احسنت انني انسان جديد ، يعود
الى حياة الناس ، بعد ان يس من هذه الحياة او كاد ..
فقلت للرجل : حسبك ذلك .. وانه لكثير ...
عمان
محمد سليم رشدان

التي يتجرعها كل غريب ، حين تبعد به الدار ، وينأى عنه
المزار .. وكان لسان حالي ما يفتأ يردد :
وارحمة للغريب ، في البلد النازح ماذا بنفسه صنعا ؟
فارق احبابه فما انتصوا بالعيش من بعده وما انتصوا
يقول في نابه وغربته مدلل من الله كل ما صنعا

والتعب بمعناه الواسع ، هو حالة عقلية . انه حال من الضجر اكثر من ان يكون اجهادا ، عقليا او بدنيا . والشخص السوي - سواء اكان رجلا ام امرأة - يمكنه ان يعمل في الغالب بغير حدود ، حين يكون هذا العمل مصدر لذة شخصية للقائم به !! .

الكراهة العقلية

ذلك الشعور بالتعب في الصباح ان هو الا كراهة او نفور عقلي للعودة من جديد الى العمل الروتيني . هل تشعر حين تنهض من نومك لتذهب الى عملك بنفس الشعور حين تصحو لقضاء نزهة خلوية في اطراف المدينة مع جمع من الاحباب ؟ . ان الفرق في ذلك لا بد كبير !! . ذلك الشعور بالتعب في العمل يزول حتما ويمحي اثره بمجرد سماعك ان رئيسك قد انتابته نوبة كرم ومروءة مفاجئة ، كان من نتيجتها ان امر على اثرها بمنحك نصف يوم اجازة .

او اذا كان العمل الذي امضيت عدة سنوات تعمل فيه مع رجال كبار في السن تغيرت الاحوال فيه فجأة بتعيين مجموعة من الموظفين الجدد من الشبان الصغار والفتيات الصغيرات ممن تخرجوا حديثا ، فكم يكون الفرق في مقدار العمل الذي يمكنك القيام بتأديته دون ان تشعر بآني تعب ؟ . ان ذلك الشعور بالتعب اذا كان في المنزل سرعان ما يختفي حين ينظر اليك في الاق مشرور نزهة خلوية مع مجموعة من الصحاب باتون اليك فيطلبون منك ان تريحهم مسكنك الجديد ، ثم تدخل معهم في مباراة في الشطرنج او النرد او اي شيء اخر من الاشياء الكثيرة التي تتطلب منك بذل مجهود كبير . فاذا كنت تحب ان تقوم بهذه الاشياء ، فستشعر بلذة شخصية وسيعدو الاجهاد وكأنه احد الحقوات التي تناسب مزاجك .

طاقة لا تنضب :

وفي تعمين في المائة من الحالات سيثير دهشتك مقدار الطاقة البدنية والعقلية التي يمكن ان تستنفدها بعد ان تكون قد وصلت - في الظاهر - الى نقطة القطع (١) ، اذا كان هذا الذي شرعت في عمله في حينه سيهيئ لك المتعة لتأديته ، او تشعر بالارتياح والسرور لانجازه . والشخص الذي يناله التعب الشديد من القيام بتأدية بعض اعمال بسيطة صغيرة في بيته بعد الانتهاء من عمل يوم شاق ، يمكنه ان يقضي وقتا في السباحة او في لعبة الجولف او ممارسة اي نوع من انواع الرياضة البدنية الاخرى التي تتطلب بذل طاقة او مجهود اكبر بكثير من الاعمال التي قام بتأديتها من قبل . ومع ذلك فلن يكون



عبد العزيز جادو

ذلك الشعور بالتعب

بقلم عبد العزيز جادو

ذلك الشعور بالتعب ... وخاصة في مثل هذا الوقت من هذا الزمن .. زمن الانتاج !! .

هل تشعر بالتعب حين تصحو من نومك في الصباح ؟ هل تشعر بالتعب الشديد في اثناء تأدية عملك اليومي ؟ وحين تلهو مع اطفالك في المساء ؟ وحين تقدر مباحج الحياة حق قدرها ؟ وحين يغتر بفرك بابتسامة لجميع اصدقائك ومعارفك ؟ هل انت في غاية التعب من التعبير عن شخصيتك بشي، من البهجة والانبساط في بيتك ، وفي مكتبك ، وفي الطريق ؟

وفي غاية التعب من ترتيب نفسك واعدادها في اثناء لحظات فراغك من اجل تحسين مركزك ، حتى يمكنك ان تحصل في يوم ما على مزيد من الراحة ، وعلى كثير من متع الحياة ومسرانها ؟ كن صريحا مع نفسك !! . حلل نفسك !! . اذا صبح انك تشعر عادة بالتعب الشديد من تأدية هذه الاعمال اليومية التي تسر اليك نفسك الطيبة بضرورة ادائها ، فلا تخف من ان تفشيها او تدع سرها .

ان كل انسان تقريبا عنده ذلك الشعور « بالتعب الشديد » في كثير من الاوقات . والشئ الوحيد الذي يجفلك حقاً ان تبوح او تجهر به هو اخفاك في ايجاد السبب ووضع يدك على موطن العلة ، واستعمال العلاج السريع ، الفعّال .

وحين يحدث هذا نرى كامن من امور التجربة العادية ،
انه بقدر ما نستغله من الطاقة ، بقدر ما تمدنا الطبيعة في
الظاهر من قوة شديدة لاستعمالها .

ابحث عن السبب العقلي

فإذا شعرت بتعب شديد من تأدية عمل خاص فابحث
عن السبب العقلي !.. وانظر لماذا لا يكون هناك لذة أو
متعة تستشعر بها عند انجاز أو اتمام نوع النشاط الذي
تؤديه ؟.. ولماذا يضيقك ؟..

اجب على هذه الاسئلة ثم اشرع فوراً في إيجاد طريق
يكون مناسباً لهذا النوع من النشاط الخاص الذي يمكن
أن تجد فيه شيئاً أو بعض شيء من السرور والبهجة .

نه اهتمامك !.. واستغفر ربك ! وأوجد منبعاً للنشاط
والبهجة والسرور في النشاط ! وارغب رغبة أكيدة في
عمله .. عندئذ ستجد أنك تملك طاقة كافية لإنجاز كل
واجباتك اليومية ، وستظل مليئاً بالحياة والحيوية صباحاً
وظهراً ومساءً ، في العمل ، وفي البيت ، وفي نشاطك
الاجتماعي .

والنشاط هو العملية الحيوية الوحيدة ، المعروفة لدى
الطبيعة بأنها « الباعث على الحياة » ، لاننا في الوقت
الذي نكون فيه قابعين في أحد المقاعد أو متسلقين على
أولمعة ، يمكن أن نهى تخفيفاً طفيفاً ، وأراحة حلوة لشخص
مثقلاً من النشاط . وتكون النتيجة توتراً في الأعصاب ،
وجسماً خاليماً من الجهد ، ليس فيه من حول ولا قوة .
وتكون الناس هذه الحالة خطأ بـ « الراحة » .
وما هي براحة ولكنهم لا يعرفون .

والنوم وظيفة طبيعية وضرورية لجعل الجسم قادراً
على تجديد بناء خلاياه البالية ، وانسجته المستهلكة . أما
الهمة والعافية ، وأما القوة والقدرة ، وأما الطاقة ، فهي
ثلاثي جميعاً عن طريق النشاط فحسب .

وهناك وجهة نظر تقول أن كل الراحة التي نحتاج إليها ،
انما هي في الحقيقة : النوم العميق الهادئ في الليل .
وهمة وجهة نظر أخرى تقول : أن الراحة التامة التي
تأزمن ، والتي تنقثر إليها انما هي التغيير في النشاط أو
هي التغيير في الاتجاه العقلي نحو النشاط الذي ترتبط به
أو الذي نباشره .

أما السر في امتلاك طاقة غزيرة وألفة ، وقوة قديرة
مقتدرة لا حد لها فهو : الرغبة في العمل ، أو الشعور
بالرشاء واللذة في تأدية الواجبات ، أو الاقبال بارتياح على
جميع الأعمال التي يطلب اليها القيام بها ، وأداؤها بنفس
راضية مرضية ، وروح طيبة ، ومحيا تبدو على قسماته
البهجة والبشر والاشراق .

لذلك من اثر الا الإبتهاج والسرور لها يظهر من براعة
ومقدرة ، ولما يديه من ذكاء واستعداد .

حتى الكادحين الذين يذهبون الى بيوتهم وهم في حال
من الابعاء والتعب الشديد ، يمكنهم مع ذلك أن يجدوا
لديهم طاقة للعب بعنف لدرجة « الشقية » مع اولادهم ،
أكثر من الطاقة التي استنفدوها في عمل يدوي لمدة سبع
ساعات ، ويشعرون بعد ذلك بصفاء وراحة .

والمرأة التي تشعر بتعب شديد في تأدية عملها المنزلي ،
وينالها الإرهاق من واجباتها التي لا مفر منها ، يمكنها أن
تمضي مساءً يومها هذا في الزيارات أو الذهاب لمشاهدة
رواية سينمائية أو مسرحية ، وتشعر بعد ذلك وكأنها
خلقت من جديد .

والطالب الذي يناله الابعاء والتعب الشديد من السير
الى محل عمل والده ، يمكنه أن يراول لعبته المفضلة بمزاج
معتدل - ويذهب الى البيت مصاباً بالتواء في الرسخ ،
ورض في عظم الكعب ، وكدمات في الانف - ومع ذلك
تجده وقد ردت اليه الروح ، وقام بنشاط عجيب لمجرد
سماع صوت زميلته في الجامعة وهي تحدنه بالتليفون
تطلب منه قضاء بعض الوقت لمراجعة إحدى المحاضرات معاً .

فهل رأيت شخصاً أدركه التعب الشديد من القيام
بعمل ترتاح اليه نفسه ، أو يكون له في نفسه متعة ولذة؟
أن هذا ليس فيه إجهاد للبدن ، وإنما هو مجرد « تعب
شديد » .

خذ مثلاً لنفسك من نفسك دوساً للآباء المظلومة
فالت أن تتواني لحظة واحدة عن عمل أي شيء بحسب الحق
أن تؤديه ، وتريد بالفعل أن تنجزه ، وإنما كنت تعباً أو
مكدوداً ، أو مجرد أنك تشعر بالتعب والابعاء . أن هذا
بكل تأكيد لم يحدث لك قط في الماضي ، ولن يحدث في
أي وقت في مستقبل حياتك . انعم النظر في هذا جيداً !
وطبق هذه القاعدة على نفسك ! . طبقها كصورة تحليلية
مع اسدقائق ومعارفك .

أن عقلك الباطن يقوم فيك بدور مزدوج ، فهو يقوم بعمل
المعجل (٢) وعمل كراحة الطارئ (٣) في وقت معاً .
فحينما يكون الجسم مشغولاً بتمثيل الفاعلية وإنجاز
الأنشطة التي لا يمكن الفرد أن يتوقعها أو أن يجد أية متعة
فيها لنفسه ، فحينئذ يعمل العقل الباطن كفرملة ، ويجهد
الجسم نفسه حتى يخور اعياء في الكفاح ليحقق تقدماً ،
ولكن الفرامل « مربوطة » بثبات .

وعندما يتغير نوع الفاعلية أو النشاط الى حال يجد
فيها الفرد شيئاً من المتعة . أو عندما يتغير الاتجاه العقلي
للفرد نحو نوع مضجر أو مزعج من النشاط ، فعندئذ يحل
العقل الباطن « الفرامل » أوتوماتيكياً ، ويدوس على المعجل .

(١) نقطة القطع : اصطلاح طبي . (٢) المعجل : دواصة البنزين .
(٣) الكماحة : الفرملة .

ها هو الخريف يعود ثانية الى حديقتنا .. يكتشفها .. ويلبها .. ثم يرددها ..
واراني ثانية لا عمل لي سوى الجلوس
وسط هذه الغوض ، متراخية تماما
في استلقاء ذاتي كتيب .. ارقب
هذا الغناء البطيء لحياة دبت منذ
اشهر في نفس هذا المكان .. وما
اسرع ما ذوت .. وستزول ..
وحياتي تبدو لي كهذه الفصول ..
دون هدف تدور على نفسها .. الى
بعضي تشدني .. شرقة عشا احاول
ان امزق خيوطها وكأنها حيكت منذ
الازل !.. ففي الامس القريب كنا
صفارا .. صبايا في عمر الزهور ..
تنطلق نفسانا في حب صامت كنسوم
لا نهاية لسانعه .. كم كانت الايام
حلوآ آنذاك ... كل شيء يبدو سهلا
يسرا .. واحلامنا تبدو واضحة
المنطلق .. سيرة التحقيق ... فلا
حاجة لان نفرط في عواطف تبدو اكبر
من واقعنا .. فما يكنم اليوم سيأتي
غد قريب ليقال !.. كانت امان
كبيرة قد ضاعت .. ما اقسى الايام في
دوراتها .. فكان طريقنا لم يكن الا
ظلا لدربين تفرقا ما ان برقت شمس
الحقيقة عالية .. وكل منا سار في
دربه المرسوم وكان شيئا مما كان لم
يكن !.. قد يكون طريقي مفروشا
بالورد .. وقد تبدو وروده زاهية
.. لكني ما احسبت بعبرها يوما
شدا اسكرني !..

انا الان ميتة تماما .. لكن صدي
في هذه اللحظات تتصارع فيه خلجات
لا حصر لها .. تتلاطم في قسوة ،
اراني اوهى من ان اصارعها .. وكاني
اعاني المرض منذ اعوام ، فتشغمني
المشاعر وتوغل في خذلانها فتهرب
بي .. بكياتي كله الى حيث لا ادري
ولا اريد !.. ومنذ يومين وانا انتظر
الطر .. فالقيوم تملأ السماء وانسا
اجلس الساعات الطويلة هنا .. اريده
ان يفهمني .. ان ينفذ الى اعماقي
ويشغني وهو يطير بي على اجنحته
الوردية عبر عالم موغل في اليمد ..
هناك حيث لا شيء يحوي غير كلينا

... يشدني بقسوة الى ايام مضت
لي ممك .. فاعيش في احلام ..
مراهقة .. للبدلة .. مفعمة بالحنو
.. يعيدني اليك .. الى يوم من ولن
يعود .. يوم بعيد جدا .. كبعدك
عني .. احسها لتوي وكأنها تجري
الان .. وكاني واياها لم يفلنا القدم !
عصر يوم كتيب ممطر .. شعرت
فيه بنفسي تكاد تطير اليك .. تعانقك
وها انذا اهرع .. لا شيء يمكن ان
يقف حائلا بيني وبين رغبتني فسي
رؤياك !.. اسحب صحيفة من تحت
السري ، عتيقة ومتربة .. اضعها
فوق راسي واسرع .. اقطع المسافة
ركضا خوفا من ان يفقد المطر نظام
شعري .. اواه لكم تؤلني الذكرى ..
خيل الي ان الارض دارت حولي



يقدم رسالة داود سليمان
http://www.albustan.com

حين شعرت ان حديثا كان يجري
انقطع لدى دخولي .. لم يصل سمعي
شيء مما قيل .. لكني بحاسيتي
ادركت ومن التقطعية التي اوتسمت
فوق جبينك انه كان بشأن دواء
بحاجته « عصام » .. ! لقد كنت
أحب «عصام» .. فقد كان اخا لك ..
وكان لي اكثر من ذلك .. كنت اغرق
عليه عواطف مما لم اشأ ان ابدسه
نحوك .. ولم تكن قد حدثتني ابدا
عن مرضه ولم اسالك عنه قط ..
فقد رايت عصاما ييصق دما امامي ..
كل شيء احسه الان وكأنه يجري في
هذه اللحظات !.. كان الجو فسي



الخارج عتما رطبا كئيبا .. وكانت
الحجرة الضيقة اعتم منه واكثر كآبة
ومفعمة بالغونة .. وفي احد
اركانها انزوى المريض الصغير ..
وفي وسطها وقد مودق بالنس اوشكت
ناره على الدبول .. وفي تلك النار
الداوية دفن حتى وسطه ابريق
النشاي .. وكنت مدفونا حتى وسطك
داخل غطاء ، نضوته عنك وسارعت
الى النهوض .. بكورك البارد ..
وتسمرت في مكاني للحظات .. انطلع
نحوك عابرة من اي عاطفة تشدني
اليك .. كنت ترتدي معطفا بيتيا اغبر
يصل حتى قدميك .. شعر راسك
يتناثر في كل اتجاه دون نظام ..
ليس هناك مسحة من جمال تشدني ..
وهذا القتر ينضع من كل مكان !..
وتساءلت : ماذا يشدني اليه .. ؟
واي حياة تنتظرني معه ؟؟.. وجمال
ناظري في كل شيء .. وجلست
امامي .. وبدأت اتطلع فيك عن قرب
.. والتقت انظارنا .. وسرعان ما
توقف كل شيء .. عينا وحشي تحل
طلي اجفانها لغز الانسانية كلها ...
وارتبك ازاء عينيكي .. وعرفت
للمرة الاولى صلاة القلب .. وسرعان
ما تحولت نحو عصام .. مزاحته ثم
قبلته .. وكما تعللت باسباب لمجيئي
تعللت باكثر منها لعودتي السريعة ..
كنت اسير وانا مسحوقة تماما ،
تتراقص امام عيني اشباح كثيرة
هائلة ... تحاول ابتلاعي دون رحمة
.. تبرز من بينها ميثان احبهما ،
وفرشاح يحوي طفلا مريضا ، وتقود
من فئات مختلفة ... كانت السماء
قد توقفت عن لعبتها .. ومز رجل
امامي ولكزني في صدي فشعرت
بالقرف ... وهبت ريح باردة
فتمسكت بأذيالي .. وتذكرت ان
علي اليوم ان اذهب الى «اوروزدي»
لاجلب معطفا كنت قد دفعت عليه
« عربونا » امس .. وكان العيد قد
قرب .. وتذكرت ان حقيبتني تحوي
قبضة كبيرة من الاوراق المالية ...
ومر خاطر في راسي : ماذا لو عدت

ادراجي ؟؟؟ وتوقفت خطواتي للحظات .. وساءلت نفسي : وماذا سأقول لك ؟! وكيف ؟؟ فانا ان احببت شيئا فيك اكثر من آخر ، فكرياؤك !.. وانا احرص الناس على الحفاظ عليها !.. وشعرت بالتفاهة تمنصني حتى الاعماق .. وتذكرت الموت .. واحسنت رائحته المغنة .. ثم عاودت السير ودوامة هائلة تدور في راسي .. وانجبت افكاري كلها نحو الحقيقة .. ثم تبعتها يدي .. فوجدتها تتسلل داخلها .. وتصلبت القبضة .. وترسبت رائحة الورق .. نثنة .. زنخة .. وكانها التفتلت من نقابات مطعم اختص بتقديم السمك .. اشمئزاز سري الى جدي كله وشعرت بغثيان .. لا سبيل الا ان اتقيا الان وعلى قارعة الطريق ان لم اتخلص مما احمل من قذارة ، وبأي وسيلة .. وتصلبت الاصابع .. واسرعت خطواتي ثم تعثرت .. هنا متسولة تفشرش الرصيف وحولها ثلاث بنيات عاريات .. فترات .. تحمي جسد اثنتين منهن تحت عباءة كالحجة .. وسرعان ما توقفت .. وبخفة ووجل اخرجت قبضتي ودسستها تحت العباءة وكانني اخفي جريمة ارتكبتها .. ثم اسرعت راكضة واتقلدني المظن من نفسي حين اسرع واسرعت خطواتي تتسابق معه .. وشعور بالخوف يطاردني خشية ان تلتحق المرأة بي فتحملي ما تخلصت من حملي !.. حين وصلت البيت كان الماء يقطر من كل شيء في .. ودخلت غرفتي واحكمت الرجاج .. واصبحت مرة اخرى داخل دنياي الصغيرة .. فيها افعل ما يحلو لي .. الف العالم حولي وانزوي في اي ركن منه حسب هواي ودون ان ينفض شيء علي متعتي .. وارتيمت فوق الفراش بكل بللي .. وفذارتي .. ووجل ، واستعدت صورة المرأة وهي تفغر فاهها على سمته !.. حقا لقد كان منظرا مضحكا .. ترى ماذا فكرت

المسكينة .. وكيف ستصرف ؟؟؟ واغرقت في الضحك .. ضحكتم طويلا حتى شعرت بالحم في خاصرتي .. ثم توجهت نحو النافذة .. تطلعت الى اعلى .. معتمة .. رطبة .. هذه السماء ! تقذف المياه بحارا .. تمشب الارض كلها .. وتزرع الخيرات .. هناك .. من الاعماق اللامتناهية .. لو كان شيء ما يدير هذا العالم الهائل بكل متناقضاته فلا يمكن ان يكون الا منصفا !.. كان شعور بعدم الراحة يتشعب في داخلي .. وتنبهت الى ان قبضتي لا تزال متصلة ..



سهيلة داود سلمان

فذكرت انها لم تعد تحوي شيئا .. فارخيتها .. وساءلت : الا يمكن ان يكون قد علق فيها شيء من رائحة السمك ؟؟ .. وبحذر شديد ادنيتهما من انفي .. وعاودني القرف .. فقبل دقائق كانت هذه اليد تحمّل حفنة من القذارة .. وريقات صغيرة تافهة .. مليئة بالقذارة .. لكن من خلالها حياة تعيش ، وحياة تختصر .. ونفس تلد .. واخرى تتخلى عن كبريائها !.. وتراءت لي عيناك .. وشعرت بالدماء تتدفق حارة من راسي .. وجمعت قبضتي .. وتصلبت اسناني على بعضها .. وبكل قوتي ضربت الزجاج .. ثم

ارتيمت فوق السرير منهكة .. وكما ضحكتم طويلا قبل لحظات .. اجبثت بكاء هادئ عميق .. لا اعرف كم طال .. ولكنني استيقظت منه على وخزات محرقة في اصابعي .. كان الدم يلوّث كسل شيء .. والزجاج يتناثر في ارجاء الغرفة .. بعد اشهر قليلة مات عصام الصغير .. وجئت في اليوم التالي اقدم التعازي .. كان الالم ينضج من مقلتيك .. وتمنيبت لو اعانك .. اعانك الطفل الذي فيك .. اربكت بفيض من حنان لا ينضب !.. ومرت الايام تلو الايام .. وشاءت الظروف ان نفترق على امل ان يكون فراقنا قصيرا نبادل خلاله الرسائل حتى تحين عودتي .. فقد كان سفري لاجل الدراسة كما تعلم .. والتقينا للوداع .. ولكن الاقدار .. لا ادري اذا صح ان اسميها لذلك .. ام اننا نحن الذين اسطنعنا تلك الاقدار بايدينا .. قلت لقد شاءت الاقدار ان يكون الوداع الاخير !.. كان اللقاء جانبا .. والتوديع باردا .. كان الياس ينضج من مقلتيك .. وكانك ادركت باحساسك ان سفري يعني بداية قصة مضنية .. مليئة بالمرارة !.. ولم يكن بالنسبة لي يعني شيئا .. فقد كنت على نفقة تامة بانني اهي نفسي لمنطلق رحب بجمعي واباك !.. وطال الصمت ورايت وجهك يشيح عني .. وحز في نفسي تشاكك بانبياء اخرى .. واخرجت علبه سجائر من جيبك واشعلت واحدة .. حاولت ان اقطع الصمت فقلت : منذ متى تدخن ؟؟ فلم اتلق جوابا .. واستمر الصمت لحظات اخرى .. ونظرت الى ساعتى محاولة تنبيهك ان الوقت يمر .. ثم عاودت الكلام : الا شيء لديك تقوله ؟؟ وهزرت راسك نغيا .. واردفنت اقول : اريد ان اكتب لك .. ؟؟ وتطلعت الي لبرهة .. عيناك قاسيتان هذه المرة .. ولم تجب .. ثم اطلقت ضحكة مقتنضة مبتورة ..

وشعرت بالجفاف يشمل كل شيء..
لقد هزئت أذن من قولي .. وكنت
أعني ما أقول .. فقد كنت أحبك
بكل قواي .. ولا يمكن لأي سبب
مهما عظم .. أن يبعدني عنك ..
أيقن لك بعد هذا أن تسألني لم لم
أكتب اليك ..؟؟ لقد كتبت الكثير
الكثير .. ولكن واحدة منها لم تصلك
قط .. لاني لم أرسل إيا منها ..
ولا زلت أتذكر أول ورقة كتبتها ..
فقد كان الطقس في بيروت خريفا
.. غائما .. دبقا .. وعينيك تناديان
.. وأنا اشتاق إليهما .. فكتبت اليك
أقول : انني هنا وكل شيء حولي ..
ولكن النفس أبدا تنوق إلى انسان
واحد .. هو وحده الذي تحن إليه
بين البشر .. مشتاقا إليك يسا
حبيبي حتى لاكاد في كل لحظة أبكي
.. لكن العيون حولي كثيرة ..
والتساؤل يخجلني .. لكن الغيوم
تعلل السماء .. وسأنتهز ذلك ..
وأخرج لبرحة .. وإذا ما سئلت
فوق أعظم بالظلم .. ومع ذلك
فالدموع خاتني .. فهي أبدا سلاح
إذا ما هزني الشوق .. والتفتت
العيون حولي .. تستفر .. وحاولن
أضحكني .. وأذكر ما قلته لهن
يومذاك .. قلت انني هنا في غربة ..
والدموع قد تساعدني على الاستمرار
في الحياة .. كان هذا ما قلت لهن
.. وكان أن مزقت ما قلت لك ..
انها الكبرياء دائما .. الكبرياء التي
جعلتك تمتنع عن توديعي بما يكافيء
عواطفك نحوي .. والكبرياء التي
تمتنع عن قول ما يمكن أن يشدني
اليك برباط أقوى من الزمن .. هي
نفس الكبرياء التي جعلتني أصمت
طيلة هذه السنوات ... وها أنا ..
وبعد طول اشتياق .. معذب .. قاس
.. والتيك في بيروت .. ويا لقاء ..
أمرأة نصف ريفية تنابط ذرواك ..
وتسمرت أقلامي على الرصيف ..
وتغيرت سحنك .. وأرتجفت
أوصالي كلها .. وكسدت أقم ..
ومرت لحظات مشلولة .. وقدمتها

إلي .. ابنة عمي .. وعلى الفور
تذكرتها، فما تغير منها غير الجسد ..
« ريمة » الصغيرة التي طالما مارحناها
وضحكنا لمدانيتها حين كانت تأتي
من الريف لزيارتكم بصحبة أمها ..
وأخترتني المفاجأة .. وذابت الكلمات
في حلقي وأنا أفتش ذاهلة عن مغزى
مصاحبها لك .. وسرعان ما جاني
الجواب حين التقطت من الأرض طفلا
لا يتجاوز الثالثة .. رفعتني بوجهي :
(ان عظام) .. ودون أن التحكم
في نفسي وجدنتي اتلقاه بكتلي يدي
وأني أتناول طفلا لي كنت قد أودعته
إياك ورأيت بعد ثلاث سنوات ..
ودفنت وجهي في وجه المستفيسر
وأغضضت عيني للحظات .. ثم أنزلت
عصاما وأنا أبلغ ريتي بصعوبة بالغة ..
فوجدتك تشير إلى آخر ينتظر دوره
ببلاهة .. فربت على رأسه .. وأسرت
أمد يدي أودعك إلى حيث أوصل
سيري .. وكانت الأرض تدور بي ..
وفي تلك اللحظات ولجت زوجتك
مخزنا .. وتبعها الطفل .. كانت
كفي تمام في استسلام في قبضتك
.. وتطلعت اليك دون أن ألتفت ..
ما عينا إلى ذلك .. ذات مرة
التيين شغلنا حياتي كلها .. وهما
هو القلب يوشك أن يعاود صلاته ..
- كيف حالكم ..؟؟ ولم أجيب ..
كدت أصرخ : وما شأنك وحالي ..؟؟
وطال الصمت وكانك أدركت ما
يصطارع داخل نفسي .. سمعتك
تتساءل بصوت ينضح إلى المستسما
مرا : ماذا علي أن أفعل الآن ؟!
أقبل الفتاة التي أحبيت .. أم
أصغعا ..؟؟ ألم تكوني السبب في
كل ما حدث .. لم فعلت ذلك ..؟
لم لم ألق شيئا ..؟؟ ولم أفه بكلمة
.. دموعي هي التي أجابت .. وشغلنا
السكون ثانية وسمعتك تقول : اننا
أعرف انني ما عدت شيئا عندك ..
ولكني أكنم حديثا طويلا .. أن شئت
أختصرته لكنني أود إفضاءه لك فأين
سأستطيع لقاءك ..؟؟ وتطلعت
بأسفراق .. - يجب أن أدراك ..

وجاء صوتك هذه المرة مكتسحا ..
قويا .. مصمما .. وفقدت قيادي ..
ودون تفكير هزئت رأسي موافقة ..
فماذا عساني أن أفعل .. أذن في
الهورس شو ، الساعة الخامسة ..
- يا بأس وأفك إليك هناك .. وخرجت
نبراني ضعيفة .. وتخلصت من
قبضتك وأسرت هاربة .. كنت
أسير وكلماتي تماردني .. مطارق
تضرب في رأسي بقسوة : « ماذا
علي أن أفعل الآن ..؟؟ » أصغمني ..
فهذا ما استحق .. كان علي أن
أدرك أن للفقر كبرياءه .. بل ماذا
كان صدامت لو قبيلتي .. وأن
شئت فسمعت الجميع .. كان أبك
إمامهم .. ألبت كلها عواطف وان
اختلفت وسائل التعبير عنها ..!!
وفكرت : غدا الساعة الخامسة ..
أجل سالفاه .. أن كان بحاجة إلى
لقائي فانا أحوج إلى ذلك .. أن لي
أن أشعر بوجوده إلى جانبي .. ولو
مرة واحدة .. ولشد ما اتوق إلى
ذلك التعاطف الدافئ البعيد الغور
يشدني إليك .. في اليوم التالي
لمست أنتظر الخامسة .. كانت
تزعج ببطء شديد .. وكنت أنتظر
وصولها بكل تلفف حرمانتي اليك ..
فألقبت مشتاقا لممارسة صلاته منذ
ذلك اليوم الذي أضاع فيه قلبه ..
وهذه عينك تنادياني وسأجيب ..
وستري مني الكثير .. الكثير ..
سأغدق عليك عواطف لا ينضب لها
معين .. سأمنحك قبلا لو تعرف
الملك .. سأريك لطاردني لو قيتك ..!!
وفكرت : هل سأفعل كل هذا ؟؟
ودارت الدنيا بي .. لن أفعل شيئا
مما أقول .. فما كان الحب يوما إلا
متبعًا للخير .. ولم يكن أبدا معولا
للتهديم .. مهما وهت السود ؟!
« ريمة » فهل رأت دموعي ؟؟ قد
تحسب انني اقترفت ذنبا معك .. أذن
هالك وأخبرها عني .. قل لها : أن
ذنوبي معك أحبها .. لكنني لن اقترف
أقلمها ..
ولاول مرة أتحسس معنى الفراق

الحب الفاهر

حسنا اطلع وجهها قمرا
تهوى القريض وتعشق السمرا
الا الهوى العذري والنظرا
من قبل شعرا يلهب الحجرا
كيما ارى في وجهها الانرا

يشكو اليك الهم والسهرا
لو قربت اشجارها الثمرا
خان الحبيب العهد او غدرا
الف افيديه وان هجرا
شيء يحس به وان صفرا
عما جننى وارق منكسرا
كالارض ترعى طفلها القمر

في الحب لكن الهوى اقتدرا
وسع الوجود واغرق البشرا
قلب الحبيب وان يكن حجرا

وكذا يوس الفيد من شعرا
من هذه ؟ انبثي الخبرا
بيضاء يهلك حسنها البصرا
لم يشك لا طولا ولا قصرا
من لون جنات الربى انرا
كالاحواء تورت سحرا
بيبتك طاهرة بما استترا
ان لم انل في جها الوطرا
ونسودت وجناتها خفرا
وتناظر الطرفان واتمرا

عمر ابو قوس

جلست الى المذياع سمعني
في سنها العشرين حالمة
تلك التي احبتها فابست
سجلت ما ابقي اذاغته
وجلست جانبها اراقبها

قلبي عليك مدته ابدا
يا جنة ما كان اطيها
وانا الوفي لمن احب اذا
ويدور حين يدور في فلكي
حتى يمود الي يدفعه
فاذل بين يديه معتذرا
واظل ارعاه واحضنه

يا متيتي ما كنت مقتدرا
وهواي لو تدرين يا املتي
فمن المروءة ان يحس به

لانت بشعري بعد شدتها
ومضت تسائل وهي عالمة
فاجبت : يا ليلىء ساحرة
ولها قوام لا تغير له
ولواحظ خضر كان بها
ولها فم عذب مقلة
ولها اديب ابيض يفتي
فلها حياتي وهي قاتلي
فتسبمت ليلىء ضاحكة
ودنا فم منا لرشف فم

حلب

الشجيرات تن من حولي .. كان
كاننا بشريا من يقوم بكل هذا العمل
الشيوع .. آثار تعذيبه تبدو في كل
بقعة .. انه حكم الطبيعة .. تقسو
بقدر ما ترحم .. فهو الخريف ..
اما انا فاسأل متى سأنتهي ..؟؟
وخريفي ما زال بعيدا .. وعيناك
ابدا تناديان .. وليس من هدف
يستحق ان اسمى لاجله .. وحياة
دون هدف من العنار ان تنتظر
الخريف ...

سهيلة داود سلمان

فتحتنا باصرار .. ثم انزلت الثياب
كلها .. حشرتها فيها كيفما اتفق ..
كبت ورقة الى اللواني يشاركني
« الشقة » اعلمهن بعودتي المفاجئة ..
واسرعت نحو المطار .. وبعد اقل من
اربع ساعات .. كنت في بغداد ..
اعرف انك انتظرتني طويلا .. وادرك
كم املك .. وقد اكون مخطئة ..
او اكون مصيبة .. من يدري .. ولكن
مثيرا من نوع جديد تكتنف نفسي
برمتها .. قد يسميها البعض
سعادة .. واسميها رضى واستسلام
.. فكل نصيبه في الحياة !!

بغداد

.. وابكي .. بكيت كما لم ابك من
قبل ابدا .. ولو كان هناك شيء
اعظم لغمته .. صدع هائل حدث في
حياتي .. كان العالم كله قد تغير
في عيني .. وكان كسوف حدث
شمل الكون كله .. وتوقفت عين
البكاء .. فجأة احسبت ان دموعي
نضبت حتى الجفاف .. ومشاعري
فاجعة تناكلتني حتى الغفاء .. وعيناك
تناديان باستمرار .. لا .. لن البى ..
سأهرب منهما اينما تكونان .. وديت
في قوة من نوع جديد .. وهرعت
بتصميم .. تناولت حقيبة الملابس ..



يوسف عبد المسيح ثروة

النار والرماد

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

جيرهارت هاوبتمان (١٨٦٢ - ١٩٤٦) كاتب مسرحي ألماني ، عرف اول ما عرف بالترجمة الطبيعية التي ترجمها في فرنسا اميل زولا ، وهي حركة نشأت من الواقعية ولكنها زادت عليها بان استهدفت تصوير المجتمع البشري تصويرا دقيقا وعرضه عرضا موضوعيا بالمعنى الحر في من الكلمة ، اي على اعتبار هذا المجتمع ، في حياة نساينه ورجاله ، موضوعا جديرا بالبوقة العلمية التجريبية ، من غير ان يكون المؤلف شأن يذكر في هذه العملية كلها ، لان السرد التفصيلي الذي يتناول بيئة الشخص و تفاصيل حياتهم الخاصة والعامة و امزجتهم وعاداتهم وصفاتهم البارزة و اخلاقهم هو الذي يحل محل شخصية الكاتب جهد المستطاع ، وكلما كان هذا السرد اعمق في الموضوعية و ابعده عن الكاتب كان اقرب الى التحديد الصحيح للطبيعة بصفتها اتجاها ادبيا هائلا اجتاحت اوروبا في اواخر القرن التاسع عشر واستمر في الاستمرار والذوبوع الى اوائل القرن العشرين . ومن مثليه المعروفين في فرنسا بالاضافة الى اميل زولا و فلوير والفونس دوديه وموباسان . وشخص هذا المذهب الادبي شخص دكتنة من حضري المجتمع وحتالته ، كالومس الرقيقة الشأن في « نا نا » لزولا والزوجة الخائنة في « مدام بوفاري » لفلوير وصافو بالثة الهوى الفرنسية النموذجية في « صافو » لدوديه فضلا عن المتاجرات باللدة الكثريرات في قصص موباسان القصار . الا ان هذا لا يعني الاقتصاد على هذه الشخص ، بل هو

سمة بارزة في المذهب الطبيعي ، لا بد من الالتفات اليها ، لانه - في صميمه - انتفاض على القيم الرومانسية التي كانت تغازل النجوم وتضاحك الاقمار وتسبح في الافلاك بين هذا الكوكب وذاك النجم . فاراد المذهب الواقعي النزول الى الارض والهبوط من الجنة ، فكانت الطبيعة تنمة منطقية للواقعية ، لكي تفوس في باطن الارض ، في المسارب والتجاويف والمهاوي ، حيث تسيل المعادن الذائبة بسبب الحرارة الجهنمية هناك . فمن المعروف ان الطبيعة تتناول كل الطبقات في عرضها السردى ، الاغنياء والفقراء على حد سواء ، لان المجتمع يضم كل هؤلاء على اختلاف درجاتهم و مراتبهم الاجتماعية ، ولانهم يؤلفون المادة الرئيسة في العمل القصي والمسرحي . اذ لا فرق في الشخص ما داموا بشرا قد يكون سوا او غير سوي ... الا ان الاهتمام بغير الاسوياء من البشر طابع مميز للمذهب الطبيعي بالنظر لانتشار العلوم في مختلف صنفها و تفرعاتها ، وانتشار الادباء في طوفان هذه العلوم ، فلما منهم انها سترفدهم بعين لا تنضب من المعرفة المنظمة لتشرح المجتمع وفهم ادوائه وعرضها عرضا امينا ابتفاء الوصول الى الحقائق الموضوعية الرصينة في تفسير حياة البشر تفسيرا جديدا ، على ما فيه من عنف الواقع ، وصخب الحياة ، وبرودها وبيوستها وعيشها ، وخبثها وسلامة طويتها وسداجتها وكل ما له صلة بصفة من صفاتها ومزاج من امزجتها .

والطبيعة دقيقة دقة ميكانيكية فسي العرض والاداء والتناول ، وهي تحاول ان تكون امينة محايدة امانة العلم والحياد ، وهي تهدف كغير من اهدافها في كل ما قمته من مسرحيات وقصص ، ولكن سعيها هذا قد خاب احبانا ، وقد اصاب احبانا اخر ، فكانت النتيجة في هذا التماوج الهائل بين البرودة العاطفية والهيجان الشعوري ... اللذين نجد كليهما اثارا واضحة لدى كبار الكتاب الطبيعيين ممن ذكرنا ومن لم نذكر اسماءهم ... وفي صدد طلبها بالعلم يحدثنا فلوير قائلا في رسالة الى جورج ساند : « اعتقد ان الفن العظيم هو علمي لا شخصي ... لا اريد الحب ولا الغضب ولا النفقة ولا الغضب . الم يحن الوقت لادخال العدل الى ساحة الفن؟ اذ عندئذ سيصبح الوصف مساويا لجلال القانون (١) » . وبسبب من هذه الدقة العلمية التي تميز بها فلوير في راعته « مدام بوفاري » لم ير زولا وهو واضع كلمة (الطبيعية) بدا من القول : « ساعد فلوير الكلمة الصحيحة الحقيقية في الادب ، الكلمة التي كان ينتظرها كل الناس لاخرق (الاسوار) . ان « مدام بوفاري » هي من الصفاء والكمال بحيث انها تمثل نموذجا وطرزا رئيسا لهذا الشكل من الفن (٢) » . ومع ذلك فان زولا الذي يقول : « ان عصرنا هو عصر العلم » (ولذا فلا بد للكاتب) ممن ان يطبق فيما يكتب « اكتشافات دارون وكلود برنار وتعاليم

وبرنارد شو ، ولا يتفق عليه سوى شكبير (٧) .
وعلى الرغم مما يقوله فشر في موقف اضطراب هاوبتمان
من المجتمع البرجوازي ، ومن فردية هذا الموقف وجلاء
العنصر الرومانسي فيه ، فإن لوط أحد أبطال « قبل
الفجر » يحدث حبيبته هيلين قائلا : « ان كان المرء يشعر
شعورا حقيقيا بوزف الاشياء ، فلا بد له ان يصيح صراحا
اصبحت اليه . » و « ليس من الزيف مثلا ان يجوع من
يعمل بقرق جبينه ويعيش الرجل الكليلان في رقد من
العيش - وان القتل - في وقت السلم له قصاص وله في
الحرب ثواب ومكافاة » .

ثم لم تساله هيلين عن الفرق بين نضالها ونضاله يقول :
« نضالك لا يستهدف غير السعادة الفردية . يستطيع
الفرد ان يحقق ذلك ضمن نطاق امكانياته الانسانية . اما
معمركتي فهي من اجل سعادة كل انسان . ولن اكون قانما
الا حين يفتح كل الذين يحيطون بي . انا لا اود ان ارى
المرض والفقر والعبودية والوضاعة تحيط بي من كل جهة » .
وفي هذا الجواب الجامع المنع نجد ومضات من الوعي
الذي يسد الافق ويوارق من الادراك السليم ، في الطريق
اللاحية ، طريق التضامن العضوي بين الكاتب ومجمعه ،
وتلمس انسانية رفيعة تملو على توافه الانفرادية في عزلتها
الشرقية القتالة ، لتكون مثارة هادية في ظلمات ذلك
المال الذي كان يعيش فيه هاوبتمان في مطلع حياته الفنية
ان لوط يعرف الشيء الكثير من ماضي الحياة جسرا
انقسام المجتمع الى طبقات متشعبة ، تطحن كل منها
الآخر تحت ارجلها - ابتزاز الاستغلالي والتجارة بقوة
العمل - القوة الخفية قصد الاستزادة من المال من طريق
الربح (الحلال) .. وهذه المعرفة معرفة تثير اذهان الناس
جميعا فكيف لها ان تتوقف عن اثارة ذهن هيلين المتفتح
مع زهرة الحب في وقت واحد ؟ ولذا نراه حين يضرب
على هذا الوتر الحساس يجد ما استطاع الى الجد سبيلا
لكي يوقظ في حبيبته هيلين روح الانتفاضة الحقيقية
الواسعة الشاملة للانسانية لا الانتفاضة الفردية الضيقة .
فما مقدار نجاحه في ذلك ؟ انه يستطيع من طريق ضرب
الامثال اليومية ، ان يبين لها ، ان الناس يموتون في بلد
الفحم من وفرة الفحم ، يموتون ببطء ليخلفوا وراءهم
افواها عديدة لا تجد ما تبليغ به ، بينما اضطراب اهلهما
يعيشون في مباءة من الرذيلة والفسوق ، في بحيرة من
الخمر والمسكرات ، وتعيش كلابهم في احضان الدمقس
والارواح والدياب . الا ان هيلين لا تحتاج الى من يعرفها
بأهلها ، قابوها الفلاح الشري كراوس لا يفرق بين بيتته
والحانة المجاورة ، ولا يفرق بين زوجته وابنته ، وقد حاول
كثيرا ان يلتصق بهيلين التصاقا سافلة ، الا انها ردت
خزيان بجر اذبال الخيبة وهو كالحويان يتشمم هذه
البقعة من الارض ، عله يجد فيها ما ينقذ غلته . وزوجة
ايبها امرأة سافلة تحيط بها الخدم والحشم ، لا يميها في

اصل الانواع وقانون تأثير البيئة الحاسم وقوانين
الوراثة (٣) ، هو الذي يقول : « التأمل اللاعاطفي للعالم
غير مرغوب فيه وهو في الحقيقة غير ممكن (٤) » . ومن
هذا التناقض الذي ابداه رائد الطبيعة يصح لنا ان نتفق
كل الاتفاق مع ارنست فشر الذي حلل ازدواجية هذه
الحركة تحليلا رصينا واثارا الى ابطالها اشارة ذات
معنى . فاذا تبين المرعب من كرمونة (باريس) يصبح
مبشرا لفن ديني محترم واذا بهويزمان يلتجئ في نهاية
المطاف الى حضن الكنيسة الكاثوليكية واذا بيول بورجيه
يلوذ بغسق مسيحية انفعالية ... اما اسن وجيرهارت
هاوبتمان فيحتملان - في اخر الرحيل - الرمزيسية
والصوفية ، ويزيد سترندبرغ عليهما في انغماس فني
الرومانسية الجديدة والخرافات الوحشية ، ويظل الرائد
زولا في مكانه ليتحول الى الاشتراكية (٥) ...

اما بريستلي الناقد الانكليزي الشهير فهو يتحدث عن
هاوبتمان بقوله : « ومن انجح هذه الجماعة (يعني اصحاب
المدرسة الطبيعية) وابعدهم شوطا هو - ولا شك -
جيرهارت هاوبتمان الذي كتب المسرح - في بواكير عمله
كتابات اخمدت بعنف الشاعر الرومانسي الذي في دخيلة
نفسه . وقدم في « قبل الفجر » و « الناجون » العمال
والفلاحين ، بأسلوب حياتهم ولهجتهم الخاصة ، بمحبة
واخلاص ومشاركة وجدانية عميقة فريدة في هذا النوع
من الدراما (٦) » . وقد ابداه فيما ذهب اليه ريموند ويشر
في كتابه « المسرحية من اسن الى اليوت » اذ قال : « لفة
هاوبتمان لفة واقعية اصيلة . وقلما تكون مفتعلة . فهو
لا يرنو الى التأثير بالاسلوب الاعتيادي القوي ، ولكنه
يسجل » . ويستطرد قائلا : « وبسطرة هاوبتمان على
الكلام المباشر واستعماله التفصيلي للهجات المحلية كما في
« قبل الفجر » و « معطف الغراء » يحقق الشكل القصصي
المقصود والمدرس . ومع ان الكثيرين يعتقدون في الوقت
الراهن بان الكلام المباشر هو اسهل المهمات في الكتابة ،
الا انه - في الواقع - يقتضي نوعا فريدا من الاسالة » .
ثم يقارن ر.وليمز بين اوكيزي وهاوبتمان فيفضل الاخير
على الاول ، « لما امتازت به « الناجون » من مستوى رفيع
سواء اكان ذلك في الحدث الدرامي (الفعل) ام في
الشخص ام في الحوار ، فضلا عما امتاز به هاوبتمان من
اسلوب لطيف رصين » . ويؤيد هذا القول ملتون ماركس
في كتابه « المسرحية - كيف ندرسها وتلونها » . « اما
هاوبتمان فانه جمع بين الطريقة الموضوعية وبين المواقف
المسرحية المؤثرة ، ومسرحياته هي في طليعة اقوى
تمثيلات المدرسة الواقعية » . ويزيد على ذلك بان يقارنه
باسن فيجعله في مصف « بيلغ اسن » (بصفته) مؤلفا
مسرحيا عاليا ، مستوى المؤلفين اليونانيين الثلاثة
« اسخيلوس وموفوليس ويوريبيدس » وراسين وكوناري
وموليير من ارباب المسرحية الفرنسية ، وهاوبتمان الالماني

اما الطبيب شميلينغ ، صديق لوط من ايام التلمذة ، فانه يهبط على لوط كالصاعقة ، اذ يشرح له حال الاسرة ، بعد ان علم بنيته من الاقتران بابنتها الصغيرة هيلين ، فيقول : « ان قصتهم قصة طويلة من الادماء والجشع والفجور بالمحارم . والنتيجة انحطاط على طول الخط » . وبهذا القول يزلزل الدكتور (شميل) ثقة صديقه ، ويبرز في قلبه الشك والريبة اللذين يبدوان بسرعة مدهشة على تصرفاته ، الامر الذي تلحظه هيلين ، ومن اجل هذا السبب تخاطبه متوسلة : « الفريد ، كل شيء سينتهي . كل شيء اذا غادرت هذا المكان بدوني » . وبهذه الكلمات الناريّة يلهب قلب لوط من جديد ، فتثور في نفسه عاطفة الحب ثورة عارمة تجرف الشكوك والاوهام ، وتنطقه بلسنة نورانية رائعة راقية صافية ، فيها جلال الحب العفوي التنظيف ونعومة لمساته الانسانية وحلاوة معانيه العميقة ، وسلامة منطقه الفطرية ، وفي هذا الحوار - سواء بين لوط وشميل ام بينه وبين هيلين - يطير الشاعر هاوبتمان بجناحين من نور ، ويواجه جبلة الشمس ببريق خافض من اللهبان ، في كلمات تقطر عسلا شهييا يشفاه للنفس والروح ، وفيه عزاء لطيف لمن خابوا في الارض وغاب عنهم المواء . والر كل ذلك واضح في لوط في حياته السابقة وحياته الان ولذا فهو لا يتسرع من الاعتراف لصديقه الطبيب بقوله : « لم اكن لاشعر من قبل وبالتأكيد بهذا الوضع ، ان شيئا جافا ، شيئا ميكانيكيا تغلق في كل جدي التي قلت عارمة من الروح والحيوية والطبيعة السوية . ثم كنت املك ايمانا حقيقيا ؟ اليوم فقط رجعت الى نفسي ، الى فرح وفرحنا ، الى كل هذه الوفرة وبهذا الضرب من الفزابة . لكن لا اناك لن تفهم ذلك » . وعندئذ لم يتمالك الطبيب من القول : « الايمان ، الحب ، العمل . هذه اشياء كلها بالقياس الى خداع . الموضوع واضح جدا : الانسانية في مخاض الالام ، ونحن بافيوننا نحاول ان نجعل الامور اكثر احتمالا » .

وبهذا المنطق الصارم ، بهذا الاسلوب العلمي الجاف ، استطاع الدكتور ريتيل ان يفتح لوط بوابه ، وان يبعده عن هيلين بعنف وقسوة ، واستطاع هاوبتمان الكاتب « الطبيعى » ان يتغلب على الشاعر هاوبتمان الرومانسي ، وينتججة ذلك قضا المكنية هيلين الفتاة الشريفة اللطيفة على حياتها ، وبذا ذلت زهرة ما كادت تتفتح على ابدى المدرسة الطبيعية الخشنة ، وهذا ما يؤخذ عليه هاوبتمان مؤاخدة جدية ، ولكنه تقصد ذلك من اجل ان يفصل بين عاطفة الكاتب والسرد القصصي المسرحي ، الذي يبنين ان تتحكم فيه برودة العلم ، على ما ذهب اليه جوستاف فلوپير . وهكذا تخمد النار التي اجبتها هيلين ليحل محلها الرمال الذي يمثل خسارة مدام فويف ولاهه الحاكم فون فيرهان بطلي « معظم الفراء » وفي هذه المسرحية تبدو لنا سخريه هاوبتمان ، في نفاذاتها المضحكة و اشاراتها

الحياة غير ارواء ظلمتها بهذا العشيقي وذلك ، والان جاء دور ابن اخيها (كاهل) ليكون خدين فراشها وخطيب هيلين . اما اختها مارتا وزوجها هوفمان فهما في سكرة مستمرة ما دام في الحياة خمر وما دامت الايدي تتصل بيسر الى هذا الاكبر الذي يهون العذاب في دنيا العذاب وهذه . وفي هذا الجهد المشحون بكل ما سف من اخلاق وما انحط من مثل ، تميش هيلين وهي الوحيدة التي تتسمر بفرق السفينة بين هذه الانواء العاتية والامواج الهوج المتلاطمة وفي هذا الظلام الدامس . ولهذا فان يد لوط حين امتدت اليها ، جاءتها كأنها زورق انقاذ في ساعة حرجة من ساعات حياة هيلين التي كانت تنحدر نحو الغيب بسرعة مرعبة ، نحو الجنون او الموت ، او الانجماع مع جوفة الفسق والتفجع . وهذا ما جعلها توج بسرهما من اول مرة لتلقى فيها بلوط فتقول : « كل شيء هنا فارغ ، لا شيء للذهن . وهذا امر يكفي لان يدفع باراء الى الجنون » .

وفي ذات مرة تصر زوجة الاب على طرد احدى الخاديات لعلقاتها الخاصة باحد الخدم ، تنصر هيلين على ال ا يتم ذلك على الرغم من امر السيدة كراوس المطاع ، ولما تجاهبها السيدة المحترمة بلطمة بمتقع وجهها امتقاعة الموت وينتد اصرارها الى حد التلويح بالضحية ، وهنا لا تجد السيدة كراوس مفرا من استبقاء ماري الخادمة .

اما صهرها هوفمان الذي لا يجد ما يمتعه في زوجته بسبب مرضها ، فلا يرى باسا من مغالبة هيلين عوضا عنها . وهنا تنور ناريتها عليه فتقول « انهم بالقياس عليك اطفال في المهد . وهذا ما اراد الان بصفاء كرامة النهار » . ولما يذكرها بانه رآها مع الفريد لوط ، ترد عليه بعنف : « لم لا تكلم احدا الاخر ، انه رجل ليس منا من هو جدير بالنظر الى وجهه ، اذا كان في العالم اية عدالة . » وطبيعي ان تكون هذه الصلة سببا للفرقة بين الصديقين هوفمان ولوط بالإضافة الى الواجب الذي الى لوط على نفسه القيام به ، في البحث عن احوال عمال المناجم ودراسة شروط معيشتهم وعملهم وهذا اما نراه بينا على لسان هوفمان حيث يقول : « اناك تريد ان تكتب كرامات من القدرة ، وقد اخترت مناخ منطقتنا لموضوعك ، الا ترى من سيقاسي من اقوالك . انا الذي ساقاسي ... اما انتم فلستم غير غواة للشعب ... انكم تجعلون العمال متبرمين ، مشغولين ، ثورين ، اشقياء ، غير مؤدبين . وتنسجون لهم قصصا من كنوز من الذهب وفي الوقت نفسه تلبسونهم قرووشهم القليلة التي وقروها » .

(١) ارنست فشر في كتابه (هرودة الفن) (٢ ، ٣ ، ٤) المصدر السابق .
(٥) انا مدين بهذه الفكرة لارنست فشر . ي.ع. ثروة (٦) بريستي في كتابه « الادب والانسان الغربي » (٧) « المسرحية - كيف ندرسها ونتلوها » ترجمة فريد مدرر . (٨) شواهد « معظم الفراء » من ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي .

الميرة ، وتلميحاتها الرائعة بأسلوب هادئ رصين ولهجة اقرب ما تكون الى اللهجة الشعبية . وفي ذلك ما فيه من دلالات على مدى تأثر هاوبتمان بالبيئة اللبزية الحميمية التي نشأ بين اكنافها وترعرع في مرايعها .. والمرحجية بجملها مهزلة تتناول تصرفات لصوص من اسرة فولف بقيادة مدام فولف الفسالة الحيالة المجتهدة الشغول التي لا تتورع عن اي سرقة من اجل صالح اسرتها والدفاع عن مبدأ (تنافع البقاء) من غير التفات لما يسرف بالوازع الخلقي ، ولذا حين يعتذر زوجها يوليوس عن السرقة بحجة الخوف من القبض عليه تجيبه : « ... من لا يجازف لا يكسب شيئا . واذا ما اصبحت ذات يوم غنيا وجلست في عربتك ، سوف لا يسالك انسان من اين احضرت القنود » .

اما البرر فموجود جاهز : ها ان فولكوف الصائد يشكو حاله ويقول : « .. انني اعمل منذ اربعين عاما ومماذا املك اليوم ؟ لا شيء غير الرومازم ، وعندما استيقظ في الصباح الباكر فأنني اعوي كجرو . منذ سنوات وانسا اريد ان اشترى معطفا من الفراء اذ نصحتني الاطباء بذلك لما اعانيه .. والمعطف كذلك موجود في بيت كروجر ، وهو ينتظر من يحمله الى الصياد المكين لقاء ثمن متفق عليه مسبقا . الخطة متيسرة وهي بحاجة الى التطبيق ، وبخاصة والحاكم بامرهم لا ينظر بعين الرضا الى كروجر لانه رجل مخطر يهدد سلامة البلدة على حد قول الارصاد والميون ممن يرقبون انفاس الناس ، قبل ان يرقبوا حركاتهم وسكناتهم ... وها ان احد هؤلاء المدعو موتس يتحدث مع مدام فولف عن كروجر : « انني منتظر حتى يمشي على الاثباتات . وعليه ان يحذر مني هو وصديقه الحميم الدكتور فلايش .. ولو كنت قد اردت ، لكنت كلمة واحدة مني كافية ان تجعله الان في الاغلال وخلف القضبان » . وقبل سرقة المعطف تتم بسهولة سرقة كل من الاخشاب من دار السيد كروجر كان بذلك استهلال لسرقة المعطف . ومع تقافة الامر ، فان كروجر يقيم الدنيا ويعدها لدى الحاكم فيرهان ، لكن الاخير يتذكر واجبه الاصلي « واجب تنظيف كل ما تراكم وتزايد في حصى سلفه المحترم ، من اناس مشبهين ومجرمين سياسيين اعداء الوطن والملك » فلا يرى موبيا لان يلتفت التفاتة جذبة الى شكوى كروجر . ولذا يثور الاخير فتحدث مشادة طريفة بين الحاكم وكروجر ينهار على اثرها الحاكم فيقول متبرما متظاهرا بالاخلاص : « اقول لك يا سيد موتس ، انهم يجعلون وظيفتي صعبة ، ولولا انني اعرف طبيعة عملي لاضطرت احيانا ان اتخلى عنها ولكن شعاري ... تحمل بصير ! وما النتيجة آخر الامر ؟ لماذا تكافح ؟ لنصل الى خير الامة الاقسطم » .

ثم تحين الساعة ويظهر معطف الفراء من بيت كروجر ، ويتدخل صديقه فلايش في الموضوع ، وبصحبة ابنه

فيليب ينزل ضيفا على بيت فولف ، وبعد مراسيم التحية والسلام يخبر الدكتور السيدة فولف بالخبر الجديد الذي تصعق منه : « لا اذن فلنترك هذه البلدة . انها عصابة لصوص ولا شك . لا يامن الانسان على حياته هنا .. يا للناس . اكاد لا اصدق » . وهكذا فالارقة لا تصدق انها سرقت وتضع اللوم على الحاكم فتقول : « يا بالمصيبة . امر سيء للغاية . لو كنت فقط حاكمة . ان الحاكم غبي بل اغبي خلق الله . فانا ارى باصابع قدمي اكثر مما يرى هو بمنظاره المونوكل » .

وفي الاشارة الاخيرة ادانة صارخة للمعجية البروسية المتمثلة في طبقة النبلاء (اليونكرز) الذين اذافوا الشعب الالماني انواع العسف والخف . ومع ان كروجر رجل غني ومن اوسع البلدة غنى فهو يحس بالمضايقات التي يسببها فيرهان ، وهذا ما نراه واضحا في قوله : « هناك شيء لم يدس فيه انفه بعد ؟ » فتعقب اللصة البارعة على هذا : « انه يضع انفه في كل مكان ما عدا المكان الصحيح لها » . واذا علمنا ان مدام فولف على صلات قوية باسرة فيرهان ، وان عييد هذه الاسرة بالذات يعتمد عليها كل الاعتماد ، لاتضح لنا بكل جلاء مدى خسة هذه الفسالة المكاره : التي تعرف من اين تؤكل الكتش وكيف ومتى . اما ميتلدورف فهو لبي سداخته ينتظر حدوث شيء « اذا لا بد ان يحدث شيء . اذا لا يمكن ان تستمر الامور هكذا » . واخيرا يقع المعطف وتحت الصفقة بين فولسف ورئيس المراكب فولكوف ، وذهب الربيع الصافى الحلال الى جيب اسيرة فولف يهدوه وسلام ، ومع انقاذ الحكمة واداء فلايشرور بتهادته الميانية وكيف تم له ذلك في زورق آل فولف ذاته ، فان الحاكم لم ير في ذلك دليلا لان معاطف القنندس كثيرة يرتديها سواد الناس لاثامها الباهظة ! لكن كيف اخذ على يد فيشر ، اخذ عليه انه لم يكن حاضرا في احتفال عذ ميلاد الفقيصر . اذن « فهذا انسان قادر على اسوا الاعمال حتى ولو تظاهر بالقبلاء . وهو يعرف هؤلاء الذئاب في جلود الحملان . انه لا يمكنهم ان يكسروا رجل ذبابة . لكن احيانا ما يدمر هؤلاء الكلاب اقايم كاملة وعلينا ان نضيق عليهم الخناق » .

غير ان الشكليات الرسمية لا تلبث ان تتدخل في الامر ، فيرتدع عن غيه قليلا ويعود ليتلاعب بميزان المنطق والعدالة والذكاء ، فيند منه هذا القول وهو يحاور الشاهد فلايش : « معظم المراكبية يرتدون معاطف من الفراء ، وليس في هذا جديد » . ثم يتساءل وكأنه اصاب الهدف اصابة مباشرة : « هل صادك شيء من هذا القبيل ؟ رجل غاية في الفناء .. مراكبي يرتدي معطفا من الفراء . هل جن الرجل فجاة ؟ انا نفسي امتلك معطفا من فراء القنندس ، ولست بدون شك لسا ! » وتتمة للشكليات يؤتي بفولكوف الرجل الذي اشترى المعطف من اسرة فولف ، وحين ووجه بصاحب المعطف ،

« عينا سناء »

الى صغرتي (سناء) في عيد ميلادها الثالث

عينا سناء زهرتان	في حقلنا تهمايلان
ومع النائم ترقصان	تتوججان وتخفقان
عينا سناء وردتان	في روضنا تتالقان
تتضوعان وتشران	في أفقنا عطر الجنان
عينا سناء درتان	تتوهجان وتومضان
تتلاان وتعكسان	ما ليس يعكسه الجمان
عينا سناء بسمتان	نجمتا صفاء يشرقان
وتترجمان من الممان	ما ليس يعكسه الجمان
عينا سناء غنوتان	عبر الوجود تحلقان
فوق امتدادات المكان	فوق انطلاقات الزمان
عينا سناء همستان	لحنا حياة يسريان
مسرى الدماء ، يفنيان	نافورتان من الخنان
عينا سناء ضحكتان	في روحنا تتسردان
عبر الجوانح تبعثان	ما غاغ من عذب الامان
عينا سناء دعوتان	عبر الضلوع تصليان
واكداد أنصت لالاذان	مترددان في كل آن
عينا سناء في حنان	عينا صفاء نشوتان
نايا صفاء يفرقان	من جولنا لن الامان

شبين القناطر ج.ع.م. عبد المصم عواد يوسف

الغبي واذا بها تحضر من تلقاء نفسها في احدى الجلسات وتتبرع بكل اخلاص وامانة ان تكون عينا له ساهرة ، ومن اجل ان تغطي هذه الرغبة غير المنجزة تتظاهر بسلامة الطوية وسذاجة القلب ، فتقول بعد ان يشرح الحاكم مهمتها : « انا لا افهم ابدا في هذه الامور » . وعندما يسألها سائرا عن سلوك فلايش تجيبه : « انه ليس انسانا شريرا » . فيحمل الحاكم هذا القول على محمل الجد . لكنها تبادره بصراحة خبيثة عجيبة : « اطلاقا . انت تعرف يا سيدي الحاكم انني لا اصلي لذلك . فانا دائما صريحة . ولو لم افتح فمي هكذا حتى آخره واقول ما عندي لكان حالي الان احسن » . وتعليقا من الحاكم على صراحتها هذه يوجه كلامه الى فولكوف : « انها فسالتنا المجدة ونظن ان جميع الناس مثلها ، وفي الوقت نفسه تلتفت الى مدام فولف : « ولكن ليس الحال هكذا في العالم . انت تحكمن على الناس من الخارج ولكن امثالنا ينظر اعظم من ذلك . ولهذا العمق قيمته في سلامة النظر وقيمة النتائج التي تترتب على هذه السلامة ولا سيما في ميدان العدل حيث الاهداف البعيدة العميقة والقريبة متشابكة » .

يوسف عبد المسيح ثروة

بفداد

لم يبال - اعتمادا على موقف الحاكم - من القول : « تؤكد لك ان كثيرين يملكون اجمل المعاطف من فراء القندس . ولم لا ؟ فالجميع لديهم المال » . وهنا تنتفخ اوداج فيرهان ويمتلئ رأسه بشعور النصر والفخر ويضرب العدل في يافوخه لانه يصير على وجوده ، والحاكم لا يعرف معنى لهذه الكلمة لانها من مفردات الكتب التي لم يتنازل للاطلاع عليها .

ومع ذلك فالحاكم هو وحده المخول من امبراطور البشر ، قيصر الالمان ، ان يحمل ميزان العدل ، ولسدا نراه يوجه الكلام الى كروجر : « هيا اكمل يا سيد كروجر . مجرد وخزة بسيطة اردت بها فقط ان اريك مدى اهمية هذه الملاحظة . فالرجل يملك معطفا من الفراء ، ولا يخطر لنا حتى ولا في الاحلام ان نقول هذا الرجل سرق . والا اصبح كلامنا هوسا » .

وهذا حق لا شائبة فيه ، لانه صادر من الحاكم نفسه الذي يعتمد على « مخبر رائع يطلع ان يكون قاطع طريق » . اما الذئبة فولف ، فهي لا تجد مجالا احسن من هذه الورطة التي اوقع الحاكم فيها نفسه ، لتستفيد من هذه الفرصة ، ولتتقرب اكثر فاكثر الى قلب الحاكم الابله

يتغنى بها الطلاب في السودان تقول :

كرري تحدث عن رجال كالأسود الفارسية
خاصوا الذهب وشئتوا كل الفضة الباغية
والنهر يطفح بالفحاحيا والدماء اللثائية



اميل توفيق

صور وانطباعات من رحلتي في السودان

بقلم اميل توفيق

١ - الرحلة الى الخرطوم

في اغسطس ١٩٦١ وصلت مع افراد اسرتي الى مدينة الخرطوم - العاصمة المثلثة - بعد رحلة تلبية ممتعة بيسر الشلال وحلفا . ولقد كانت مشاعري - خلال هذه الرحلة - وخاصة ونحن نقرب من حدود السودان - تتلوى بوجدان تاريخي . فعلى طول الشاطئ الأخضر الذي ارتفعه النهر التي تشبه الشريط (١) ، كنا نرى مشاهد عديدة لرجال القبائل المختلفة ومن بينهم هؤلاء النوبيين بمقاتمهم المديدة، وقد لوحث جباههم الشمس المشرقة وهم يفلحون الارض ويحرقون . وكأنما كنت ارى امامي اناسا خرجوا من اغوار التاريخ ، او كأنما هؤلاء باتارهم العظيمة يحيون حيوات جدودهم التي تحدث عنها المؤرخون . كانت الباخرة تنق عباب النهر الخالد وكأنما تشق عباب التاريخ المصري القديم ، اذ كانت المشاهد امامي انما تمثل صفحات حية من كتاب النيل الخالد للكتاب الشهير « اميل لودفيج » . وكنت احس انني اشاهد الفصل الاخير من آثار النوبة قبل انقذاها ، ومن حياة النوبيين والحلفاويين على ارضهم قبل تهجيرهم الى اوطانهم الجديدة .

بوصولنا لمدينة الخرطوم ، استقبلتنا أسرة سودانية كانت لنا بها صلة سابقة ، وكانت تقيم في أم درمان . وكان المنزل الذي نزلنا به يقع في شارع له اهمية تاريخية عند السودانيين اسمه « شارع كرري » . وترجع اهميته الى المعركة التاريخية المهيبة الكبرى المسماة « معركة كرري » التي انهزم فيها الانجليز امام اتباع المهدي الذين كانوا يسمون « بالدرابوش » . واذكر ان هناك اغنية وطنية

مكننا تسعة ايام وسط هذه الاسرة الكريمة التي كانت تجمع بين التقاليد السودانية والتقاليد المصرية . وكان يقدم لنا من الوان الطعام اللحم القديد (ويسمونه الشرموط) ومن الوان الشراب مشروبان وطنيان هما (الحلو مر) و (الابريه) كما كنا نتناول السى جانب الخبز العادي ، الخبز الوطني المسمى (بالكسرة) . كنا موضع حفاوة وتكريم وعلى رغم ان المرء لا يمكن ان يخرج بدراسة للمعادن او التقاليد بمجرد اجتماعه بأسرة او المعيشة المؤقتة بين ظهرانيها . . ولكن فرصة الضيافة تعد فرصة اجتماعية نادرة لكي تطلق الطاقات الانسانية . . . اولاً من جانب المغرب لكي يتعرف على الناس ولكي يؤكد ذاتيته ، وثانياً من جانب المواطن المضيف . . ومن ثم فالضيافة تعد معياراً لقدر الطاقة الانسانية عند شعب من الشعوب لاستقبال الغرباء . والشعب السوداني من اكرم الشعوب واكثرها اطلافاً لطاقته في المروءة والاستقبال . فنحن لا ننسى بجانب كرم الضيافة ، ما قولنا به من « انناس الجيران » واقارب الاسرة المضيقة وعمارهم . فالسيدات يجتمعن عادة في الصباح ، والرجال او الاسر بكلمتها ، يجتمعون في الاسيات ، في جلسة هادئة تسمى (الوتة) . والوتة عند السودانيين من اهم الظواهر الاجتماعية المشرقة التي تألف حولها القلوب والافهام . وقد شهدت لقاءات مقامي بعضاً من هذه الونسات او الجلسات الاجتماعية التي تتودها روح الالفة والمشاركة والتبادل والترويح . ففي العمارى ، بعد ان يرش الفناء الداخلي للمنزل بالماء ، ويكون الجو قد تلطف مما اصابه من حر قاتظ طيلة النهار ، تصف المقاعد في وسط الفناء انتظاراً للزائرين . استمعنا في تلك الونسات الى شتى انواع الاحاديث والطرائف والحكايات . منها ما كان يقصه كبار السن وخاصة الحويات (الحوية هي الجدة) من حكايات تتعلق بالحن والمآزق التي مرت عليهم وعلى كثير من المواطنين والاجانب عند قيام الثورة المهدية ، وكيف غادروا ديارهم وكيف لجأوا الى امكن اخرى ، وما صحب ذلك من مخاوف وانفعالات وتغييرات وما لقوه من مفاجات . ومنها قصص البطولات التي مارسها افراد مسن قبائل مختلفة في صيد بعض الوحوش في غابات الجنوب . او بطولات تتعلق بانواع من الرقى والسحر تحمي صاحبها من الاصابة بأي سلاح ، او تجعله لا يتأثر بلدغة العقرب او الثعبان . ومنها حكايات عن ولاء العبيد والجاريات ، بعد ان منعت تجارة الرقيق ، وردت لهم حرياتهم . وما الى ذلك من احاديث بعضها حق كله ، وبعضها تلفت فيه الحقيقة بأشعية من الضباب . وذلك عما ما صادفته من

أحداث ترتفع إلى مستوى الندوة (وهذا ما شهدته فيما بعد) حيث يناقش الشباب السوداني مختلف القضايا الإنسانية في السياسة أو الأدب أو الفنون وما إليها . حقاً ليس بالغزير وحده يحيا الإنسان . وفي المجتمع السوداني يتحقق هذا القول العظيم إلى حد كبير . فالسوداني يفضل الكرامة ويحب المناقشة وينشد الإناس ويميل للخدمة .

وكان لا بد لنا ان ننقل من أم درمان إلى فندق من فنادق الخرطوم حتى تستقر أمورنا ، وربما نعرف المصير . ويصل بين الخرطوم وأم درمان كوبري يقع على النيل الأبيض . وكل من يجتازه لا بد ان يشاهد المنطقة التي يلتقي فيها النيلان - النيل الأبيض (اللجني) ، والنيل الأزرق (الاسواني) - في عناق رائع بدیع طالما تفتى به كثير من الشعراء . وللشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباطة قصيدة معروفة تفتى فيها بهذه المنطقة المعروفة باسم (القرن) أي التي تقترن فيها وتمرّج مياه النيلين وينتج عنهما « النيل » العابر من هذه المنطقة حتى الأراضي المصرية فالحجر المتوسط .

وقد استغلت منطقة « القرن » كمتنزه عام أنشئ فيه « كازينو » يضي فيه رواده وقتاً طيباً يبسن الخضرة والملب ، والمنظر الساحر المطل على النيلين ، وذلك في أيام الجمع والأحد . وإذا تركت هذه المنطقة متجها في طريقك إلى العاصمة الخرطوم فلا بد ان تمر على حديقة الحيوان ، ومن بعدها لا بد ان تمر على الفندق الكبير أكبر فنادق السودان وهو يقع على النيل الأزرق ويعد ملتقى للساحين وكبار القادمين والمهاجرين ، وإبهاء الرحبة تستقبل الوفود الزائرة ، والحفلات الاجتماعية الكبرى .

وبهذه المناسبة يسأل البعض : ما الاصل في كلمة الخرطوم ؟ سمعت في إذاعة سودانية تعزل هذه التسمية بواحد من التعليلين الاتيين : يقول اولهما ان النقاء النيلين يحدد المنطقة برقة تشبه خرطوم الفيل ومن هنا جاءت التسمية . ويقول ثانيهما ان في العصور القديمة كان الناس في تلك المنطقة يجمعون ثمارا تنبت وحشا ، وكانوا يسمونها « كرم » . وعرفت المنطقة بهذا الكرم ومن ثم جاء اطلاق اسم النبات على المنطقة نفسها . ثم تحرف وتعدل مع الأيام إلى الخرطوم .

بانتقلنا إلى فندق رويال الواقع بجوار المستشفى الملكي ، قرب محطة الخرطوم ، أحسنا فلما بالفترة . ان المرء يشعر بالغتراب عندما يفتقد العنصر الهام ، عنصر الانتماء الاجتماعي . وفي أم درمان كان الناس ينتقلون إليها ، فيملأون في نفوسنا ما قد أحسنا من فراغ . .

(١) والتي غمرتها فيما بعد مياه الد العالي . (٢) من كتاب دراسات في شعر التجاني (من مطبوعات جماعة الادب السوداني) .

وأما في الفندق فكان علينا ان ننقل نحن إلى الناس ، لنسد النقص ، ونملأ الفراغ ، ولكي نشبع هذه الحاجة النفسية الاجتماعية : الانتماء الاجتماعي والتأكيد الذاتي . وثمة فارق عام بين أم درمان والخرطوم ، هو ان الاولى تتميز بطابعها الشعبي العريق ، فهي تشبه في كثير من الوجوه حي السيدة زينب بالقاهرة ، لما تمتاز به من تجمعات شعبية في المقاهي وفي الأسواق وفي المحال التجارية . بل انها منذ بزوغ الحركة الوطنية في سنة ١٩٢٤ ، تعتبر مركزا هاما باندوانها الثقافية واجتماعاتها السياسية او الادبية . وأما الخرطوم فتعتبر رقعتها المركزية بأنها مدينة مخططة ومن حولها « الدبوم » (أي الكفور الشعبية) . ولقد اتسعت الخرطوم فشلت - عدا الخرطوم بحري - عدة فواحي وقرعات وامتدادات جديدة وأصبحت تقوم في شوارعها الكبيرة مبان حديثة وعمارات عالية تشغلها المؤسسات والبنوك والشركات الكبرى ، عدا ما امتازت به من دور فخمة مثل القصر الجمهوري والجامعات والمستشفيات والمدارس والادنية الرياضية والاجتماعية والوزارات وما إلى تلك القصور التي شيدت على اجمل طراز ، واتسمت برحابتها المتعة وجمالها المورقة الفيحاء .

وخلال اقامتنا بالفندق ، عشرة ايام تقريبا ، خرجنا إلى المجتمع . انتدبت لدرسة الخرطوم الثانوية وتعرفت ببعض الزملاء ، وتكررت زيارتنا للنادي العربي ولبيتا دعوة الزائرة لاسوة تقطن بالخرطوم بحري . ومع ذلك فقد كانت هذه الفترة هي فترة التطلع والترقب والانتظار .

ان المركز الاجتماعي هو الصلة الاساسية للانتماء الوظيفي لمجتمع ما . انه عنصر الفاعلة في هذه الصلة . اما عنصر الانمى النفسي او الطمانينة فيضمن تكوين الروابط الاجتماعية وتنميتها ، وهي الروابط التي تنصل بالعمل وبالإسرة . وقد صار علينا ، بعد انتهاء مقامنا بالفندق ، ان نحقق هذين العنصرين ، بانتقالنا إلى بور سودان ، وهي المدينة التي استقر رأي وزارة التربية والتعليم على تعييني بها بصفة نهائية .

غادرت الخرطوم إلى بور سودان ، وفي وجداني تلك الدكري الشعورية للأيام الجميلة التي تملؤها الحركة والترقب والتطلع .

ولقد زرت الخرطوم خلال الأربع سنوات التالية أكثر من مرة . وأحسب اني الآن بعد مفادرتي للسودان ، أرى في ذاكرتي الوجدانية صورة تجتمع فيها المتناقضات : فمن جزيرة توتي في النيل الأزرق بزورها ونخلها وحيوانها وشرعها ، إلى الصحراء القاحلة الممتدة في الاق في البعيد برمالها الحمراء وبشمسها القاطلة ، إلى النيلين العظيمين يلتقاهما الفائق الروعة ، إلى حدائق القصور والبيوتات بأشجارها الوارفة وطيرورها الصادرة

سدى

سدى .. لا تقل لي : احبك
مات افتراق الفرام
وجف العبير ،
وناه الفد الواحد المرتجى
وضاع الزمان
وضاع المصير .

كان لم يكن بيننا همسة
كان لم يكن
بيننا ما يثير
وكل الذي قد بينناه امس ،
نسجنناه
من هينيات الشعور ،
غدا قصة في شفاه العذارى
وامسا طواه الاسى
والفرور .

سدى ما تقول فلا ترجي
زمانا
بعيد البنا الذكر
فانت الذي قد سفتحت الهوى
واسقيته

من كؤوس الفير ،
وانت الذي قد غدرت الفؤاد
وليس الزمان
الذي قد غدر .

اما كنت تحثو عليه الرماذ
وتشعل في جانحيك
التسرد ؟
ويعطيك من روحه

وكل الذي اضمر ،
ونجواي ،
والحلم ، والذكريات ،
رهمس جفوني ،
وما اشعر .

خلعت عليك مصري
وعمري
فداء لعينيك يا منكر
سلم تك عف الهوى
والضمير

ورحت بنعماهما تكفر
سدى ما تقول وما ترجي ،
لقد حكم الحب :
لن تستجاب ،

وسوف تظل جريح الضلوع ،
شجي الفؤاد ،
شقي الرغاب .

وتمضي السنون ، وعمرك يمضي
هباء ، هباء ،
ويمضي الشباب ،

ويتركو عبير الهوى في الدنى
ويمسح بالظهر
شمم الهضاب ،

وانت المرغ في رجسه
فاما الجحيم
واما العذاب .

راضي صدوق

الكويت

ما تشاء
وتجس عنه رذاذ المطر ؟
انقسم بالحب والحب وهم
كفرت به
واستبحت الحرم
ولطخت بالرجس طهر الحديث
ودتست

كل معاني القيم ؟
هراء دموعك ، لا تستدعها ،
وخل البكاء ،

وخل الالم ،
فتلك معان لها قدسها ،
من ظلم .

فلا تكذب الدمع ،
ان الدموع طريق الخطايا ،
طريق الندم !

اتسال غفران قلبي الكبير ؟
.. وهل بعد كل الاسى يغفر ؟
وهبتك عطر شبابي الطري

وقلبي

ARCHIVE
http://Archivebe.com

وعلى اروع ما اوجت اليه طبيعتها المشرقة ، قال فيها :
تحسبها اغنية مطربة نفهها الحسن على نهرها
مهمسة العائنه مطلقه رجسها الصيحه من طيرها
وشمسها الغريبة المشرقة تفرغ كاس الصبوه في بديرها
واذا اترك هذه الوجدانيات ، اجدني اترك باب
الحديث عن بور سودان .

اميل توفيق

شبين الكوم - ج.ع.م.٢٠٠٤

.. اجمل صورة يجتمع فيها ذلك التناقض الجدلي او
الحوار الدرامي بين الرحمة والقسوة ، بين حنان الطبيعة
وجفافها ، بين خصوبة التربة وجدبها .
ومما هو جدير بالذكر - والشيء بالشيء يذكر - ان
للشاعر الوداني الاصيل المرحوم التجاني يوسف بشير
قصيدة وجدانية جاءت في ديوانه « اشراقه » (٢) ،
ضمنها وصفه للخرطوم ، فدلّت على لباب الحب لبلده ،

مكتبة الاديب



احسان هانسم

مجموعة قصصية - ناليف الفقيدي عيسى عبيد - ٦٨ صفحة - من الحجم الكبير - منشورات المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة

تلتقي هنا - وفي هذه الحلقة المتممة من طلائع القصة العربية الحديثة - بنصا من الرواد في هذا الفن القصصي ، ومن الذين وضعوا فيه لبنة بلى عليها من جوار بعده ، وخفا فيه خطوة سار على نهجها من كتبوا في القصة بعد ذلك ، هذا الرائد هو « عيسى عبيد » القصص السوري المنصر ، الذي عاش في مصر زمنا ، وقد يكون ولد فيها . فنتحن لا ندرى على التحقيق واليقين شيئا كثيرا عن نشأته الاولى .

و « عيسى عبيد » هو شقيق القصص « شحاتة عبيد » صاحب المجموعة القصصية القصيرة « الدرس مؤلم » التي نعد بعرضها هنا في هذا الركن من عدد مقبل . وقد مضى شحاتة عبيد الى جوار الله ، لا نعرف كثيرا عن حياته الا ما تلقفه بعض مترجميه من افواه المارقين هنا وهناك ، فلم يكن الرجل ادبيا متغزا للاديب ، لا قصاصا يعتمد على كتابة القصص في كتب عيشه ، فان الكتابة لم تكن سبيلا للحياد في ذلك الزمان التي لا تتجاوز اربعين عاما ، ولكنه كان بالغا مرة في احد حواشي القصص القصيرة ، والكبرى ، ومدبرا لحل آخر في شارع آخر من شوارع القاهرة التي نعتلها بمناجر الازياء والاناث ، وهو شارع قصر النيل ، حيث انتهت اخباره ، وانقطعت ، فلم يعرف الدارسون لادبه بعد ذلك شيئا عنها على وجه التفصيل ...

ولم يكن حظ عيسى عبيد من المعرفة به احسن حالا من حظ اخيه شحاتة ، فكلهما مفقود من هذه الناحية ، وان كان كل منهما قد اسهم في القصة القصيرة بنصيب كان من الوفاء ان يشار اليه ، وان يتجه الاهتمام نحوه ، والعناية به . فان اصحاب الفصل في التفهقات والوثبات الادبية وفي ارياد ميادين جديدة ، لا بد ان ينصلوا يوما من زمانهم ، ولا بد ان نجني السامع لاعتلاهم قهقهم ، طال المدى بهم ام قصر . والاخوة المؤلفون والادباء والشعراء ظاهرة لم يخل منها داب امة (١) . فهناك الاخوان « جبريل » في الادب الاناثي ، والاخوان الشقيقات « برثوني » في الادب الانجليزي ، وقد اشتهرت احداهن بالقصة الرائعة : مرنفات ودرنيج ، وهناك الاخوة « ابناء الاثير » ، ومنهم المؤرخ والمحدث والبالغي ، وهناك ابراهيم البازجي واخوه ، والامير شيكيب ارسلان واخوه ، والقصص محمد ليوم وشقيقه محمود مد الله في عمره .

غاية الرواية عند عيسى عبيد : لم يتركها عيسى عبيد في مجموعته هذه دون ان يقدم لها مقدمة طويلة بعض الطول . ولعل هذه المقدمة تدلنا على مكان الزيادة الذي اضطلع به مع زملائه في العصر الحديث . فان اغلب قصصنا اليوم يرسلون فهمهم دون حاجة الى التقديم لها . ولكن القصص الرائد يلجأ الى المقدمة اذا رأى انه يريد ان يقول لنا شيئا جديدا . وقد رأينا هذه الظاهرة عند الرواد الأوائل من امثال شحاتة عبيد ، ومحمد ليوم ، وطاهر حقي ، وطاهر لاشين . كما رأيناها عند الدكتور محمد حسين هيكل ، فقد احس كل منهم ان مطلبه على فن جديد في الادب ، وان هذا الفن بحاجة الى التعريف به ، وبطرائقه ،

وبضرورة تعليم الادب العربي ، وبوجود المقارنة بينه وبين نظيره في الغرب ، وبمبدى الافادة منه للتعريف عن الحياة والمجتمع . ومن هنا وجدنا القاص « عيسى عبيد » يشتغل لقلمه ليكتب لنا مقدمة عن الفن والادب الحديث في مصر . وفي هذه المقدمة يحدثنا عن الفن القصصي الوليد في مصر ، وعن شخصيات القصة ووجوب دراستهم ودراسة المؤلفات الروائية فيها ، والظروف التي ساعدت على تكوينها ، والتفرقة بين المذهب الخيالي والمذهب الواقعي ، وصيغ القصة بالطابع القومي المحلي حتى لا يشعر القاري انها مجتلية ، واللغة التي تكتب بها القصة سواء اكانت لغة سر ام لغة حوار ، والبعد عن الاسلوب العاطلي والتعمق المباشر في القصة .

ويبعد لنا القاص عيسى عبيد غايته - او غاية القصاص عموما - من كتابة القصص بقوله : « اما غاية الرواية فيجب ان تكون التحري عن الحياة وتصويرها بمانة وخلص كما تبدو لنا ، وجمع كمية كبيرة من الملاحظات والمستندات الانسانية بحيث تكون الرواية عبارة عن « دوسيه » يطلع فيه القاري على تاريخ حياة انسان او صفحة من حياته . ويجعل بالكتاب ان يدور فيها اسرار الطبيعة البشرية ، وخفايا القلب الانساني الفاضل ، والتطور الاجتماعي والاخلاقي ، وعوامل الحضارة والبيئة والوراثة في نفوس الاشخاص ، وذلك مع بعض التحفظ في ابداء حكمه او آرائه الشخصية ، لان مهمته الاساسية تشرح النفوس البشرية ، وتدوين ما يتكشف من الملاحظات ، نازكا الحكم في ذلك للارتداد نفسه يستخلص منها القارئ الذي يرعى اليه بخفة ومهارة دون ان يتدخل مشقة التاداة به ... »

التعبر عن الشخصية المصرية العربية : من سمات الفن ان يكون صادقا ، وان يكون صادقا تصبير عن الحياة التي يصورها او ينقلها لنا ، وافة الادب العربي في عصور انحطاطه الى فقد عنصر الصدق والاصالة والتعبر الحقيقي عن الحياة... والتمسرح الجاهلي مثلا قد يكون غرابا لظيفة بالنسبة الى لغتنا اليوم ، ولكنك متى عرفت معنى الناطقة الغريبة استنتجت ان لمس عنصر الصدق والاصالة فيه . انه تعبير صحيح عن البيئة العربية في العصر الجاهلي بما كان فيها من عادات وتقاليد هي من خصائص عصر معين بذاته . فشعر الشعراء الجاهليين في وصف الناقة والحصان والابل والذئب والدمى والفساتون ، والاولاد ، ونبات الصحراء ، والبرق والواصف ، هو شعر صادق التعبير عن بيئتهم ، ومن كان سر الجاهل سره ، وقد فقد العربي مجاله وحيوته حين لجأ الشعراء - في عصور الضعف - الى الحكاية والتقليد والتشبيه بالقدماء ، فلم يكن شعرهم ولا تشبيهاتهم صسورة صادقة لحياتهم ، بل كانت صورة قديمة منقولة الى جو غير جواها ، والى حياة غير حياتها القديمة... وكذلك حين بدا في القصة والرواية يدخل الى الادب العربي في العصر الحديث ، فقد رأينا بعض الكتاب المقلدين ينقلون عن الفرنجة نقلًا حادًا ولو كان يصطدم مع واقعا العربي المحلي . لان الفن لم يكن عندهم اصالة ، ولقته كان نقلًا وصنعًا وتقليدًا ... ومن هنا جاء فهم - اذا صح ان يسمى هذا فنا - مصوغا مشوهًا زائفا غير صادق ولا مطابق للبيئة العربية ، او للثقافة المصرية .

ولقد تنبه بعض الادباء ذوي الاصالة لذي خطر التقليد والمحاكاة ، وناذروا بضرورة اظهار الطابع القومي والشخصية العربية المحلية ، حتى تكون بارزة متميزة غير نافلة المعالم . ومن هؤلاء الفنانين الاصلاء كان عيسى عبيد ، وشحاتة عبيد ، ومحمد ليوم ، وطاهر حقي ، وطاهر لاشين ، والدكتور هيكل وغيرهم من الرواد في الفن القصصي . لقد ظلوا يتناولون باظهار الشخصية المصرية في القصة وتصويرها على حقيقتها بطابعها المصري القومي ، لا يوثبوا الاجنبي المستعار المجلوب ... ومن



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدونها شهر

بنابر ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

لاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : ٢٢٣٨١٩ الإدارة Dir : 223819
٢٢٥١٢٩ المنزل Die : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيسر ادب

تلازم عيسى عبيد في هذا الصدد قوله : « ونحن ان نقول ان الادب المصري المصري في وقتنا الحاضر غير مستقل ولا موسوم بطابع شخصيتنا فهو ما زال خاضعا للادب العربي الجامد المتشابه القديم ، او متاثرا بنفوذ الادب الاجنبي الذي اضطررنا الى درسه لتعلم منه اسرار الفن الصحيح الراقي ، وناخذ عنه قواعده وقوانينه واسلوبه . فالروايات المصرية المؤلفة مغربة - وبلا للاسف - عن المرح الاجنبي ، وفقصنا مأخوذة عن القصص الاجنبية !! وان قام كاتب ليؤلف رواية ، فهو اما ان يقتبسها عن رواية اجنبية او ان يصورها . ويتجلى في هذه الحالة اضطراب شخصية الاشخاص الذين لا يكون لهم غالبا وجود في هئتنا الاجتماعية ، ونعكس الألوان الغريبة بجلاء على روايته ، فتعدها المسحة الطبيعية التي هي سر من اسرار الفن الحقيقي . وكثيرا ما تكون الحادثة نفسها غريبة عن اخلاقنا ، وقد لا تقع على طع مرسج الحياة المصرية ، وذلك ناشئ عن ترسم الكاتب الروايات الاجنبية .. »

ارابت دعوة الى اظهار الشخصية المصرية اصرح او اوضح من هذه الدعوة ؟ ومن هنا لجأ عيسى عبيد ، ولجأ غيره من رواد القصة العربية الى تصوير مصر والحياة المصرية والانسان المصري والانسان المصرية بكل خصائصهم المميزة الاصلية فيهم ، واكد عيسى عبيد هذه الدعوة بقوله بعد ذلك : « فواجبنا - نحن الكتاب - ان نطعم ادبنا المصري المصري صفة حية ملونة خاصة به ويعرف بها ، ولذلك يجب ان نجهد بان نحرر لهُتنتنا من تأثير الادب الغربي ، بالا نخذ ممن الروايات الاجنبية قاعدة لرواياتنا التي يجب ان نشاد على اساس الملاحظة الصادقة المستخرجة من اعمال حياتنا اليومية » ...

والذا كان المرحوم محمد ليمور قد سبق الى الدعوة الى اظهار الشخصية المصرية وايرازها مستقلة واضحة الملامح ، فان المرحوم الدكتور احمد ضيف استاذ الادب العربي بالجامعة المصرية كان من اشد انصار هذه الحركة دعوة لها وعضادة بها ، حتى لم يملك القصاص عيسى عبيد ان يفل الاشارة اليه في المقدمة قائلا : « وقد جاء التكوين احميد عبيد . في كتابه « مقدمة في بلاغة العرب » مؤيدا لنا في نظريتنا ، اذ قال بوجود ايجاد آداب عربية مصيوبة بصيغة مصرية ... »

الجد عن الوعظ والخطابة في القصة : لقد احدث اقطاع القصة العربية التي نهل « عيسى عبيد » شيئا منها ان يطلع على مناهج الاوروبيين في كتابة القصة. وهي مناهج البت التطبيق العملي صلاحها وسلامة قواعدها التي يمكن تطبيقها على أية لغة اخرى مع مراعاة الاحتفاظ بالشخصية والحياة المستقلة لكل أمة. فاتباع القواعد الفنية والاصول المنهجية لكتابة القصص والروايات شيء ، وايراز الطابع الشخصي لكل أمة شيء آخر . ومن هنا يستطع القاص العربي ان يلتمز حسود المبادئ، والمبادئ في الفن القصصي مع الاحتفاظ بتصوير الحياة العربية وتوضيح الشخصية المصرية بدون ان تختلط معالها مع شخصيات امة اخرى . ومن المبادئ التي افادها عيسى عبيد من القصص الاجنبية عدم مجاهرة القصاص بايذاء حكمه او آرائه الشخصية . فعليه ان يصور المواقف ، ويشرح النفوس ، ويستخرج الخفى ما في كوامن النفس الانسانية ، ويعرض الخير في جماله ، والشر في قبحه دون ان يحكم او يعاقب باي كلمة يفهم منها انه واطق واقف على المثبر يقول لابنائهم ومستهمي : « ايها الناس ! الصدق منجاة ! والكذب مهواة » .

ومسألة تحفظ القصاص واحتفاظه بالحكم ، وبمده عن الوقوف موقف الواظف التامسح ، هي الطريقة الفنية السليمة لاستخراج العبرة من القصة او الرواية دون اقبال على القاريء او دون اشعاره بأنه يتلقى النصائح من المؤلف . فالرواية باحداها يجب ان تأخذ مسارها وتجري مجراها ، وللقاريء ان يأخذ منها او يدع ما يريد او ما لا يريد ، فان فرض الواظف ثقيل على النفوس ، وفيه من الاثرام ما يستثقله القاريء المتحرر ولا يجد له مسانغا في نفسه . وقد عبر عيسى عبيد عن ذلك بقوله : « وانا لو فطن ان هذه الطريقة الجديدة ستصادف باديء يده

عروفي !

والأمم المهشأ أن هذا الخروج عن تقاليده لم يقابل بالاشتمزاز والاستهجان من جماعة المحافظين المميين... بل كثيرا ما كانوا يتجملون بالتصديق والإنسان ، وأحيانا كثيرة يبالغون ... أن نورنا هذه ستؤثر بلا شك تأثيرا قويا في تقاليدنا ، وتؤدي بنا إلى التطور السريع في نظام حياتنا الاجتماعية ...

بحرمك الله يا عيسى عبيد ! هذا بعض كلامك في سنة ١٩٢١ من ثورة سنة ١٩١٩ ، فعلا كنت قالا لو امتد بك العمر ، فلم يهتفكك الموت سنة ١٩٢٢ ، لتقول لنا ، أو لتصور لنا مصر الحديثة بعد أن خلقتها خلقا جديدا ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ؟

الولام بين عصري الأمة : لقد سمعنا وقرأنا كلاما عظيما للرئيس جمال عبد الناصر في الاحتفال بإنشاء كاتدرائية للاقيا في يوليسو سنة ١٩٦٥ . لقد جلى سيادة العلاقة بين عصري الأمة كآكرم ما تكون العلاقات بين الأخوان في الوطن الواحد ، لا يفهم اختلاف دين ، ولا يميل بعض جوج إلى تعصب ، وإذا كانت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ قامت على الحب بين أبناء الوطن الواحد جميعا ، لا بفرقة ولا بتمييز ، فإن ثورة عام ١٩١٩ قد دعت في دمي وتلميبي بصير إلى نبد الخلاف وتوكيد الارتباط ، بين المسلمين والاقيا . ولم يشأ « عيسى عبيد » القاص المسيحي أن يترك هذه الظاهرة تمر دون تسجيلها في قصصه ... ففي في مذكرات « حكمت هاتم » لاحظت أنا شجارا هاتلا وقد بين العلم مسيحية والتشيخ عبيد ربه ، وتنجرت بينهما العداوة بحكم منافسة مستحكمة بين هذين الباعين المتجادين ... وكان من ذلك شجار بين الاسيرين جرح فيه من جرح ، وضر فيه من ضرب ... « وكان قد خالف هؤلاء من تجار العلم والجيران نتيجة عداوة هذين الرجلين السياسي الأديان ، لئلا ينسب أعداؤنا عداوتهم إلى التعصب الديني ، فتدخلوا بينهما مرارا لحسم النزاع ، وحملها على التصالح ... »

« هاتم » تعجبنا كيف تصالح الخصمان ، وصافى العدوان فائلة : « وما كنا نصل إلى الشراع حتى استرعى نظرا منظر مؤثر للغاية ، فقد رأينا الشيخ عبيد ربه يعاقب المعلم مسيحية قالا بنشوة فرح اختلجت لها عضلاته : نحن أخوة يا معلم مسيحية ! لا يبق لنا أن نتشاجر .. ورأينا القبطي يقبله ويضمه إلى صدره كأنه يعاقب أخا له ثم يره منذ سنين عديدة .. »

« ألا ما أطيب فليك ، وأكرم نفسك يا شيخ عبيد ربه : وما أكثر تعلقك بروح اصلا ، في الساحة والحب والولام ... !

مواهب قصاص اصلا : تكشف لنا مجموعة « احسان هاتم » ، وتكشف لنا مقدماتها الواجبة عن مواهب قصاص اصلا لو كان العمر طاله لاند الأدب العربي الحديث برصيد هائل من الفن القصصي الرفيع ، ولكن « عيسى عبيد » مات عن ثلاثين عاما .. ولقد صور صاحبنا البيئة المصرية بما ألتته أرواحها ، وأظلمت سماؤها : فوصف حياة الاسر السودية المسيحية التي تمصرت وتأنست من مصر وثقافتها نائيا لها ، ووصف المرأة في أحوالها : محافظة ومجدة . ووصف الام مكافحة ومربية لإولادها حين فقلوا المائل والتسريح . ووصف الفتاة حين يطوف بها طلائع من الشيطان فيضلها عن سواء السبيل . ووصف بعض العادات في الرف ، وإن لم يكن وصف الكبير ، وصور موجة التفرنج ، وحركة السور والحجاب ، والانتقام للعرض ... وانخذ في سبيل ذلك طريق السرد ، والحوار ، والمآثر ، والرسالة ، والاعتراف ... وتب في لغة الحوار بين العامة والفصحي ، وانخذ في الحادثة لغة بتخللها بعض اللغات عامية ، ويطلبها بالمشقة المصرية ، والألوان المحلية ، اما المحادثات القصيرة فقد نقلها بلسان اصحابها ، بالفاظهم العامية ، ووظائفهم العجيبة ...

محمد عبدالقني حسن

القاهرة

اعتراضا شديدا من بعض كتابنا الذين يتوهمون أنهم أسألة مرشدون ، جادت بهم العناية الالهية لهادية الأمة وحملها على اتباع آرائهم ، فانا نخالف ذلك ونتمثل بعبه آرائنا ، فلا يبق لكالك مطلقا أن يدعي هذا الادعاء لانا مرغون دائما للخطا ، فانا نحكم على الأمور حسب أمرجتنا وميولنا والواقنا ، وأمزجة الناس متعددة ، وميولهم متفاربة ، والواقهم مختلفة أو متفاداة .. فلا يبع ولا يبق لنا أن نجبر السرين على قبول ما لا يسيغه ولا يفهمه ، ثم انفس الواقنا وميولنا التي نتمند عليها في الحكم تتغير يوما عن يوم ، فقد نستحسن اليوم رأيا ونستشفه ونناقش عنه ، وغدا يتنصح لنا انا اخطاا وسرعنا في استحسننا له فنبتذه ونحاربسه ...

ولم يبع القصاص عيسى عبيد أن يبدي الكاتب القصي رايه أو حكمه ، فهو صاحب حق في ذلك لا يبع منه ، ولا يحجب عنه ، ولكنه اجاز له أن يبدي الراي غير مباشر ، حتى لا يكون صارخا ولا لقيلا ، ويقول في ذلك : « ومع ذلك فانا لا نقول بعدم حق الكاتب بالحكم وإبداء الراي ، ولكننا نقعد أن يتجلى حكمه ورأيه من نايا محاولاته وتحليله ، لا كما يفعل كتاب العهد القديم بمناذراتهم : أيها الناس ! انظروا ! ان ردتكم ! أيها الناس ! اطعموا عن الرزائل ! أيها الناس ! تسكوا بالفضائل ! تلك القادة العقيمة ، التي لا تؤثر أدنى تأثير في نفس القاريء ، بل كثيرا ما تأتي النتيجة ضد رايه الكاتب ، إذ يأخذ القاريء الضجر والملل ، فيتسامى من تلك الفضائل التي يحتونها عليها بقسوة وخشونة .. »

صورة جميلة للمظاهرات السالية : ظهرت مجموعة « احسان هاتم » القصصية لأول مرة سنة ١٩٢١ ، فجات بعد عامين اثنين من قيام ثورة سنة ١٩١٩ التي قامت فيها مصر بطلب بالقاء الحماية الانجليزية ، وبهجتها الكامل بالحياة الحرة ، وبخروج جيش الاحتلال من أرضها بعد أن ظل جالما على صدر البلاد حتى ذلك الحين يصفه وللائين عاما . وكان طبيعا أن تصور لنا القصاص عيسى عبيد - فيما يصور بقصه - بعض طلائع من الحياة المصرية ، حتى يكون صفاها عن نفسه ومع المقدمة الواجبة لمجموعته ، ومع رايه في التصفي وكيف يكون مطابقا للحياة ، مصورا لها ، معبرا منها . فقد صرح في تلك المقدمة بصورته للحياة ، « يمثل حياتنا الاجتماعية والتفسيية والوطنية » .

إيجاد ادب مصري (يمثل حياتنا الاجتماعية والتفسيية والوطنية) . ولم يشأ عيسى عبيد أن يصفى نفسه عما كان يدور في مصر حينذاك من نفايل في سبيل الحرية ، ومن غيان في الشعور الوطني ضد الانجليز عبر غير الشعب بطرق مختلفة . فتجد في مذكرات حكمت هاتم - وهي القصة الخامسة والأخيرة من قصص هذا الكتاب - صورة طريفة تصور المرأة المصرية وقد خرجت - كالرجل تماما - في مظاهرة خاصة بالنساء ، تعرضي صدرها لرضاص الانجليز الذين لا يرحمون ، وتهتف بصوتها لتفكري الجيل بحياة مصر وتفتدتها بالنفيس من الأرواح ... وقد تجلى احساس المرأة المصرية بروعة الاتحاد بين المسلمين والاقيا فجعلت الهتاف بحياة ذلك الاتحاد واحدة من نغمت الشيد .. وتدع الراوية : حكمت هاتم - تقول في مذكراتها : « ربنا العرة فاخلت تجاز بنا الشوارع الوطنية ، ووقفت بنا زهاء ساعة كاملة في ميدان عينا لتقدم السير . وكان الميدان على سته محتشدا بطلبة الأزهر وطلبة المدارس العليا والثانوية يحيط بهم أبناء الشعب ... وكنا كلما مرنا بطناف وضطيان « بنات بلد » يستقبلننا بزغاريدهن ، أو بلطف من الشبان يحسنون هتائهم : نحياء السيدات المصريات ! نحياء امهات المستقبل . ورفيقاني يهيمهم : نحياء التشبيبة المصرية ! نعيش احرارا أو نموت كرما ! ! انا أيا فبادي بدء لم أكن استطيع مجازاتهم في الهتاف ، لشدة خجلي ، ولكن سرعان ما تلاشى هذا الخجل وبني الحساس في

(١) في موعود « الأخوة المؤلمون » انظر بحثا سابقا في مجلة « المجلة العربية » العدد ٥٢ ، وانظر مقالتي تعجبنا عليه بقلم الاستاذ أكرم زمير في مجلة « الإفق الجديدة » الأردنية ، ومقالات أخرى في المجلة نفسها بقلم الاستاذ يعقوب المودات سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣ .

الأنســــــــــــــــان

مجموعة شعرية - إبراهيم خليل العلاف - ٩٦ صفحة - مطابع مؤسسة مكة للطباعة والاعلام

لم يعرف القدماء الدراسات التجريدية في الأدب ، وإن كانوا قد مارسوها في الفلسفة والقرولات العقلية . فما هو الإنسان ؟ وما ماهيته ؟ فمضايا فكرية عالِج العقل البشري الخوض في بحارها الفؤادة التي لا تحد ولا تنتهي ، ولا يعرف احد حتى اليوم أين تكون شطوطها .

لكن الأدب المعاصر ، وبخاصة الأدب الغربي ، قد جاوز البحث في قضية الإنسان . وحين منح « البر كامو » جائزة نوبل كان السبب الكبير في تفصيله على أقرانه المتقدمين لئيلها ، أنه كاتب « غوار » على اسرار الإنسان ، استطاع ان يطو حقيقته العنصر البشري في قصصه وكتاباتنه .

فإنسان منذ كان وهو يبحث عن نفسه فلا يجدها ، فتضطره النظرة المسائلة ليبحث عن غيره بعد عجزه عن بحث نفسه . اننا حين نقف امام مراثيات تقرأ فيها شخصوسنا لا نرد لنا هذه الصفحات اللس اللوامع سوى طواهرنا ، اما مواطننا الانسانية ، فان مرأيا الادب وحده هي التي نمسك سجاياتنا التي تعيش وراء المنظور ، وتنتشر حتى لا تكاد تقرأ بالجاهل الكاشفة التي تنمي الصورة الى مئات الالصفاء . ولقد جالت في ذهني هذه الخواطر وأنا أقرأ ديوان « الإنسان » الذي كتبه الكاتب النابغ ابراهيم خليل العلاف .

والاستاذ العلاف شاعر متمرس بالتأليف ، طلع في حياة النهضة الادبية في الديار السعودية بكتب خفيفة الظلال ، كمكة الاولاد ، كان منها هذا الديوان الذي سماه « الإنسان » . وهو يرمز في همدوه التسمية الى ان الشعر الذي فيه بين قصائد ومقطعات ، انما هو من فيض إنسان يمكن في الشاعر ، او الشاعر يمكن فيه ، وليس هو معالجة علمية ولا فلسفية لقضية الإنسان . وان يكن الشاعر العلاف افصح هذه المجموعة الشعرية بطلقة سماها « الصواريخ الوجهة » فتناول الكلام على عمر الفناء الذي نقل الحرب من الارض الى دنيا الآسفل والظلم في الشرق العلوية بين المجرات والتجمود !

لكنه يؤثر البناء في الارض ليعالج مشكلاتها في اعمال الإنسان نفسه ، فهو في قصيدته الفلسفية « الصلاة المنشودة » ي طرح هذا البيت :

لولا التناير في الاسماء لاختلطت على الحقن في تمييزه الصور
اذ بر عناصر الوجود المتفارية الى عنصر واحد شامل لصفاتها ، لكن الذي يفرق بعضها من بعض هو اسمائها .

ومثل جراح ادبي لا متطبخ ذي مباحض حادة جارحة ، يقول في قصيدة « القلب » :

ومعلق في الصدر مـله حاله فيض الحياة على مدى اوصاله
ويختنمها بهذا البيت :

عدا وعمر يتقنسي استهلاكه التبشي فيه معبر عن حاله
ولقد سررت بهذا الوصف ، وإن كان وصفا طبييا لم انتهى اليها . وكان شعراؤنا حين يتكلمون على القلب يقولون الكلام على علم في دنيا العاطفة والحب . وقد ذكر الشاعر العلاف الصبر ذلك لكنه انفرذ بجعل القلب آلة حاسبة (عدادا) كعداد السيارة او عداد الماوالكهرياء . وهل القلب الا كذلك ، منذ ركب في الصدر ، وعلق فيه بجياله ، انه فعلا العمر والسنين لا تقرأ ما يسجل ويخط ، وإنما القدر وحده هو الذي يعرف ارقامه ويقرأ دوراته ، ويدري بأحواله في الحركة والسكون . وفي الديوان مسامرات روحية وانبثالات مبادية لم يطو ديوان شاعر من اهل مكة من مثل هذا الفيض الانساني الذي يتجلى فيه الإنسان على حقيقته عام البيت العتيق طوفاً والها وعيدا قلنا مظاهر القوة امام قوة الخلاق الذي ابداع الإنسان . ومن يقرأ ديوان « الإنسان » فهو

يهتدي وشيكا الى انجاه الشاعر العلاف الذي يجعل ظواهر الوجود وسائل للحكم وادارة الكلام ، ومزج الشعور بالمثل والتفكير بمبصر الكون . وختم ديوانه ببيتين مزمزين في اللطف لكتبتها قاسيان في حياصة الإنسان ، اذ طالما مارس مناعها الإنسان ، وكان هذا المعنى هو (العملة) المتداولة في دنيا الواقع الوجودي . ومعنى البيتين : ان دنيا السبل جعلت الحمار يسيق الحصان وان حوار الثور دل عليه فقدعه في الفأزين . ويجعل في حياة الادب المعاصر ان اعرف الشاعر بلساف التيسل واردا جامعة القاهرة صادرا بشهادة الليسانس في الفكر والادب عنها ، وفي اللغة والبيان ، قاسيا معنا حتى اوفى بعدئذ فيها على دراسة في المكتبات متطلعا الى دنياه القدسة ليقيده مواطنيه فيما نلقه من الدراسة الادبية والمكتبية .

وجاء داري بصفاف بردي فسأل عني فقيل له : انه في (داره الوحي والالهام) .

وحين استمت بملقائه في داري في جرول بمكة وفي داره بجوار المسجد الحرام ، أحست بخنان الاديب الى الاديب ، وعرفت صدق ما قال الشاعر العظيم « حبيب » في ان نسب الادب في الصحابة الاوى من نسب القراءة .

مكة المكرمة زكي المحاسني

١ - الفزالي والتصوف الاسلامي

تأليف احمد الشرباصي - ٢١٦ صفحة - منشورات دار الهلال بالقاهرة

ما تزال دراسات اعلام الفكر العربي الاسلامي تجد اهتماما وموالة في مختلف أنحاء الوطن العربي ، فما زال هذا الفكر المتصل بفكرنا العربي المعاصر يعطينا اعقب المفاهيم وروع الاحاسيس ، ذلك ان التفافسة الانسانية العربية تستمد جذورها من مفاهيم اولئك الزواد الذين الروا فكرنا ونفوسنا وافقه وجدوده ، وكشوا عن جوهره ، وضافوا به طريق الوصول الى الحقيقة .

والفزالي واحد من هؤلاء الاعلام الرواد ، جاء على طريق العالم الاسلامي وفكره في فترة من ادق فترات حياته ، وسط صياحات ضخمة مدوية من الجمود والتخل جميعا ، فانطى من جديد مفاهيم الفكر العربي الاسلامي الاصيل ، وقادوم عناصر التخل والجمود ، وهاجم الغارجين عن الطريق الاصيل .

ولذلك فان الفزالي ما زال يجد من الباحثين عناية واهتماما ، ولقد نشر عنه في السنوات الاخيرة عشرات البحوث في صحف الغرب ولبنان ومصر والعراق وفي صحف مختلفة بين صحف اسلامية خالصة وصحف ثقافية عصرية ، وقد ظهرت عنه دراسات ضخمة في مقدمتها هذه الدراسة التي كتبها الاستاذ احمد الشرباصي ونشرتها دار الهلال .

وليس الكتاب عن جانب واحد من جوانب الفزالي هو التصوف كما يوحى به عنوانه ولكنه دراسة كاملة شاملة عن شخصية الفزالي وفكره ومراحله شاملة آرائه ومواقفه وآثاره في اللغة والفكر والشعر والنثر . وقد اشار مؤلفه الى ان دراسة الفزالي ليست بالامر المستطاع لكل رائه ، وليست بالامر الهين النطوف لكل طالب ، ذلك انه خلف من ورائه كتباً كثيرة يرتفع بها المحصول احبانا الى الاربعمائة ، وهذه الكتب قد تنوعت في موضوعاتها وتنقلت بين اللغة والفلسفة والتصوف والاخلاق والتقد ، واختلفت في اسلوبها تشقلت بين الوضوح والقومض وبين القرب والبعد ، وبين الظاهر والاضمار ، وتنوعت في طريقها ايضا ، فهو نارة يعتمد على البراهين العقلية ، ونارة على القومض الدينية ، ونارة على الجدل الكلامي ونارة على التعمق الفلسفي ، ونارة على الاسلوب الصوفي .

وقد كشفت الدراسة عن افاق تلك الشخصية الفسحة ، التي اختلفت فيها الآراء ، فمن اتأس برهونه حتى يتجاوز قدره ، واخرون يذمونه حتى ينهونه في عقله ودبته ، والمؤلف يرى ان هؤلاء هؤلاء بحاجة الى المراجعة والتثبت فيما قالوا والى تبين الدوافع الشخصية او الفهمية او البهيمية التي دفعتهم الى الاسراف في التثاؤد او الهجاء . ومن هنا فقد تابع المؤلف الجزائى في عصره ونشأته وحياته ونفكره واسلوبه وشعره وكلماته وكتبه ، كما تحدث عن الغزالي الصوفي . والمؤلف لا يرى ما يراه غيره من ان الغزالي هو كاتب الصوفية الاول ، ويرى مواجهة هذا الرأي بكثير من الاحتراس والمراجعة ، ويعسد ان يستعصى هذه المسألة بحثا يقول : « ان كتابات الغزالي مجتمعة غير مسبوقة بمثلا في ضخامتها ونسجتها وتحليلها ، ولذلك كان من حق الجانب الصوفي ان يتسع له المجال حديثا عن الغزالي ، خاصة وان الغزالي كان يرى في التصوف غاية لكمال البشرية الذي تبغله عن طريق البحث والتأمل ، اذ يرى ان اللطرة الانسانية السليمة الصافية هي يتنوع المعارف وان الذي يمنع النفس من الاعتلاء انما هي حجب المادة وظلمات الشهوة ، وان الغاية من العلوم هي بلوغ هذه النفس كمالها ، وكمال النفس هو مركز الدائرة التي يمثلها التصوف . كما اشار الباحث الى الآثار التي القى الغزالي بظلالها على من جاء بعده امثال الفخر الرازي ، الذي تأثر في تفسيره المعروف بالفزالي حيث يتبدى لنا فيه الصبغة الغزالية واضحة .

٢ - نهضة الجزائر الحديثة

تأليف محمد علي ديوب - ٤٤ صفحات - الطبعة المتأخرة بدمشق

يمثل هذا الكتاب طلائع موسوعة علمية عن النهضة العلمية والثقافية في الجزائر يحاول ان يقدمها الأستاذ محمد علي ديوب أستاذ الأدب والتاريخ في معهد الحياة بالجزائر ، وهي متصلة اتصالا وثيقا بدراسته عن تاريخ المغرب الكبير التي قدم منها في السنوات الماضية مجلدات ثلاثة . والحق ان هذه الدراسة تستاهل ان تكون عملا مستقلا يشته بخلافه عن منهج الدراسة التاريخية ، عن عصور المغرب كلفه منذ فجر الاسلام . فهناك يجري الحديث عن الافكار المغربية الاربعة ومن تاريخ متصل بالحكم والدول والولاة ، وهنا يجري الحديث عن الجزائر وحدها في مجال النهضة الثقافية والفكرية والتربوية . وقد حرص المؤلف ان يصور كيف كانت هذه النهضة مقدمة للثورة الجزائرية ، وكيف ان هذه القوة الباسلة في كفاح المستعمر والقائمة انما كان مصدرها ذلك البناء الفكري والثقافي في مجال المدرسة والكتاب ، وذلك الدور الذي قام به الاعلام من المفكرين المتأملين امثال عبد الحميد بن باديس واطيش الكبير

طالعوا كل شهر

المجلات الثقافية اللبنانية

الحكمة

العلوم

فهي تحمل اليكم النتائج الفكرية الرصينة والإبحاث

القيمة بأفلام خيرة الكتاب والأدباء

الاداب

العرفان

وابراهيم بيوض . وليس هؤلاء وحدهم هو الذين عني المؤلف بالحديث عنهم بل انه بدأ مع الاحتلال الفرنسي للجزائر ١٨٣٠ ، وصور كيف كانت مدارس العلم في المساجد والزوايا في مصدر البقعة ، وكيف ظهر علماء اعلام عاشوا في اكناف القرى والبلاد ، وفي وادي ميزاب بالذات ، حاولوا مقاومة الاستعمار عن طريق التنقيف والتعليم . وقد اشار المؤلف في مقدمة بحثه الى أهمية الكشف عن هذه المرحلة من تاريخ الجزائر ، وان هذه النهضة ليست مكتوبة ، وانها لا تزال في صدور الاحياء من الشيوخ ، ولما كان الامر مخوفا من ان يضيء اغلب هؤلاء الاحياء الى ربهم ، دون ان تستل منهم هذه المعلومات ، فقد دعاه هذا الى ان يركب كتابته هذه المهمة المهمة البارزة المجهولة من تاريخ الجزائر ، وان كل علم يمر بذهاب بمصادر كثيرة من علمائنا . « فهذا استاذنا البشير الابراهيمي يذهب الى ربه فتفقد مادة غزيرة من تاريخنا الحديث لا توجد الا عنده ، سيما تاريخه هو ، وهؤلاء مشائخنا من جيله الذين ندعو لهم بطول البقاء على اثره » .

وقد عيّد الاستاذ ديوب من اجل ذلك الى ان يجمع مادة نهضة الجزائر الحديثة ويدون ما يروى وينقذ من الوفاات منذ خمس عشرة سنة اي من عام ١٩٥٢ الى اليوم . وكان يفتن وجود العلماء الذين تركوا نهضة الحديثة او شاركوا فيها وحفظوا اخبارها فيروى عنهم . ومن اهم من روى عنهم المرحم الابراهيمي بن عمر بيوض ، وقد كان من زعماء النهضة الحديثة منذ اربعين سنة ، وادرك منشئها وحفظ اخبارهم وسراهم مع الاستعمار واذنابه . وكان المجلس الواحد يستمر اكثر من ثلاث ساعات . ولما وجد ان وقته يضيع بالتدوين اشترى مسجلة للصوت ، وقد افقره ذلك بمادة غزيرة في التاريخ لا يجدها في كتاب وكذلك فعل مع ابن البلقان ابراهيم عيسى ، والبشير الابراهيمي وابراهيم اطينش . وقد التقى بهذين الاخيرين في القاهرة ، وكذلك العلامة نعيم النعيمي . وفي فلسطين بالجزائر ، وعشرات غيرهم من الاعلام الذين التقى بهم . وقد اشار المؤلف ان نهضة الجزائر ثلاثة ادوار : دور نشأتها وفترتها وصعود شبابها وهذا الدور يتبدى في اخر القرن الثالث عشر الهجري وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر السني الى قيام الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ . ثم تطور النهضة وتوسع ويتم لها شبابها وتنشر المدارس العربية المصرية ، وتكثر البعثات العلمية الى الشرق واوروبا ، وهذا الدور يستمر الى عام ١٩٦١ . ثم تنشأ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وغيرها من الجمعيات الخيرية الثقافية التي هي نعمة الدورين الماضيين ، فتدخل النهضة في دور النضوج ، فتخلق للجزائر اجيالا من الشباب المثقف الذي ظفرت الجزائر منهم بجنداء وفادائها فثارت على الاستعمار فاستقلت .

وقال المؤلف « ان الدور الاول من النهضة هو الحلقة المجهولة لانعدام الصحافة العربية الجزائرية الوطنية في وقته ، وهي التي حفظت لنا الكثير من تاريخ الدورين الثاني والثالث . وقد شمل هذا المجلد دراسة هذه الفترة ، وسيوالي المؤلف البحث بمجلدين للمرحلتين الثانية والثالثة ، الثاني عن النهضة حتى ١٩٥٤ والثالث من الثورة ١٩٥٤ حتى الاستقلال .

والحق ان الاستاذ محمد علي ديوب عالم مجاهد ، يشق طريقا وعرا وينشئ عملا غير مسروق ، ومن اجل هذا كانت المسئلة الباقية التي يلقيها في سبيل جمع معلوماته ، ثم يخرجته من الجزائر الى مصر او دمشق لكتابة فصول كتابه وطبعه . وقد ألف مجلدات تاريخه الثلاثة « تاريخ المغرب الكبير » في القاهرة ، ثم اختار هذه المرة دمشق حيث ألف وطبع كتابه عن نهضة الجزائر الحديثة ، فجاء كتابه شاهدا بالجدد الفصح الذي بذله في سبيل الكشف عن هذا الدور الذي قام به المفكرون في الجزائر من اجل المحافظة على اللغة العربية والاسلام والقرآن ونشرها جميعا ، وحمايتها من مؤامرات الاستعمار التي كانت تستهدف القضاء عليها جميعا .

القاهرة

انور الجندي

في كلمات...

● طرا أخيرا تحسن كبير فيما يتعلق بوسائل معالجة المصابين بداء الجذام (البرص)، وذلك يعود لاكتشاف غلنار بريطاني جديد يرمز اليه باسم «ب ٦٦٣» وهو مشتق من غلنار سابق كان يعرف باسم «فينايزين». ولقد ادخله الى تجبيريا للمرة الأولى الاخصائي البريطاني الدكتور س. براون الذي تحدث لهذه المناسبة فقال: لقد حصل تحسن نهائي في مجموعة من المصابين الذين تناولوا شؤنهم ارسالية بريطانية في نييجريا ويعود عهد اصابتهم بالداء الى خمسة اعوام. بيد انه تحقق لديهم هذا التحسن الدلشي الدائم بفضل استعمال العقاقير الجديد. وكذلك جرت تجارب على غلنار ثان من مشتقات السلغا تستخدم مرة في الاسبوع. وجات التجارب مرضية جدا. وعولج بالعقاقير الاخير ٢٢ مريضا بدلت عليهم بوادر التحسن الاكيد بعودة مطمئنة.

● استحدثت في حديقة نيكيستي للنباتات في القرم (في جنوبي الاتحاد السوفياتي) طريقة للحصول على مضادات الحيوية من اوراق شجرتي الميرت والكاليتوس. ان مغلول الكاليتوس العلاججي ظهر في المادة البولورية التي استحصلت من كيميائيا. وهي المادة التي تقتل بكتيريا مرض الالتهاق وغيرها لمسادات الحيوية التي حصل عليها من شجرة الميرت، التي تبنت فعاليتها في علاج مرض السل.

● صرح الدكتور جمال عبد التواب رئيس قسم كيمياء السرطان بمعهد البحوث الطبية بالاسكندرية بان البلهارسيا ليست وحدها سبب سرطان المثانة، وانما قد يسببه ايضا امراض سوء التغذية مثل البلاجرا. وقال ان الوحدة تقوم الآن بدراسة لمعرفة المبيدات الكيمائية التي ينتج عنها سرطان المثانة. وقد صرح بان سرطان المثانة في الذكور هو النوع الشائع في مصر.

● سيشيد في موسكو مبنى يضم نموذجاً للمدينة كلها. وسيشغل هذا النموذج مساحة التي متر مربع سبع جميع مباني وشوارع وميادين العاصمة. اما الغرض الرئيسي منه فهو تمكين المهندسين المعماريين من التعرف الى معالم المدينة كلها جميعا من ناحية من مجاميع هندسية، الامر الذي له اهميته. ذلك ان على المهندس المعماري الذي يفسح تصميمه له ان يرى كيف سيتناسب تصميمه ومنظر المدينة العام.

ونستطيع ان نتحدث الكثير عن تأثير اشعاع الالازر على الاجسام الحية، وافاق المستقبل. ولكن لنرى كيف تساعد الومزعات الكميات الطيارة منذ الآن.

ان كثافة اشعاع الالازر، نستطيع ان نقبها تقويا من مختلف الابعاد. والالازر هو انبعاث اداة مبتكرة لطباء الالازر، فالاعمال التي تجزئها ن. نونوكوفسكايا، العضو المراسلة لالانديسة الطب في الاتحاد السوفياتي، والمهندس ي. نيميرسكوي، والطبيب ليتين من معهد طب العيون، ومعالجة الانسجة «فيلانوف» هي مثال واضح لتعاون التكنيك والطب. ولقد ادى هذا التعاون الى انشاء المختبر العيني البصري الكمي من طراز - اول - ا، فما هو هذا الجهاز؟

انه موزع كمي، له «قلب» من البلور، ينتج اشعاعا قويا يوجه بواسطة التور الى نقطة المراد علاجها في فم العين. ان الطبقة الضرورية من اجل «لحام» التئكة لا تدمر سوى بصفة اجزاء من مليون من الثانية. فالجهاز العصبي للانسان لا يحس بالآلم، ولهذا السبب لا يجري علاج خلال العملية بواسطة جهاز «اول - ا». وزدانة على ذلك، فان هذا الجهاز ينتج ارسنال الاشعاع الى مكان محدد تماما، وبسبب طاقته وقوتها، وينبع ايضا ان تعالج دون اجراء عملية جراحية، امراض خطيرة جدا كفصل التئكة، والالبيوم وغيرها.

ولقد اخذنا في اشعة الالازر المستعملة في قبل اطباء الفم. واظهرت التجارب التي اجريت في المعهد المركزي لابحاث امراض الفم ان موزع التور الكمي يستطيع ان ينافس المتقب. وزيادة على ذلك انه يضمن التنقيب دون كل اللرس. ومن الصحيح ان القوة الكبيرة نسبيا والتي هي ضرورية لمنع فسي البداية الانتشار الواسع لهذه الاجزء.

ان محاولات المراقبة البصرية لعمل القلب تدل نحن اي شك اهتماما من الوجهة النظرية والعملية على حد سواء. فالتئكة التي تفسد لآزرا، وفشائير وجهازا للتور تتيح القاء نظرة الى داخل القفس الصدري.

هل ان الالازرات تساهم في التماسك ضد الازرام الخبيثة؟ انه من الصعب حتى الآن تقديم جواب جازم. فيجب ان نبقى المعالجة المبيادة للاورام الخبيثة ابحاث دقيقة جدا، بالرغم من ان في عدة بلدان تجري تجارب من هذا النوع، ويدرس اطباء تأثير اشعاعات الالازر على مختلف الازرام. ولقد سجلت تجارب اولي مشجعة.

ف. فيتوشكين

ان مئات الالاف وحتى مليون جو، يكون السقوط الكهربيمطيسي الشديد الذي يتناثر كل جسم عندما يوجه الى سطحه ضوء متشابه كمية قوية. ولقد انشأت الالازرات فرسا جديدا في الفيزياء، علم التور غير الخطوطي. ويدرس هذا الفرع تفاعل الحزمات الفوتية الضخمة والمادة، وهذا، والشئ الذي له اهمية كبيرة من اجل العلم هو معرفة كيف تؤثر اشعاعات الالازر على الخلايا الحية للجم.

ولكن حتى الآن، فان كل موزع كمي له تواتر واحد للاشعاع. ولكن اذا استخدنا بالفيث من قوانين علم التور غير الخطوطي، نستطيع ان نحصل على موجات شديدة من مختلف الالوان. ويسمى الفيزيائيون السى بناء موزع للتور من المتناطح ضبطه بواسطة مقبض (ماتيليل) كجهاز الراديو، من اجل الحصول على موجة اشعاعية ضرورية لالوسع سلم للفوء. وهذا ضروري من اجل الحصول على موجة اشعاعية ضرورية لالوسع سلم للفوء. وهذا ضروري من اجل عمل الالازرات باقصى درجة مفيدة، لان الومزعات ذات التواتر البسيط تستطيع ان تؤثر بفعالية اكثر على هذه النسبة او تلك من الحزمات، وان نغزرها او ان تقني عليها. ولا تدخل في ذلك «الهجمات» الفوتية الرنانة على المواد، وبصورة خاصة على المواد البيولوجية، التي تتبع ككشف اسرار الاجسام الحية، والبقضاء على بعض الجينات وبالمساهمة في تطوير البقى الاخر، بده توجه العلماء نحو الوراثة الوراثية.

ولكن لا يجب ان يسهو عن باننا ان الالكترونيك الكمي ما زال حتى الان علما فنيا، وان جميع المقيات المتعلقة بعلامات انسجة الانسان او الحيوان مع «ابرة» الالازر من غير المتناطح اعتبارها الا كمقاييد اولية. الا ان الالازر يهتمون بالتطبيق العملي للالازرات في مجال العلاج، والجراحة، ومن اجل تعديد التشخيص. فالتعاون الوثيق بين الفيزيائيين والبيولوجيين هو ضروري في هذا الاتجاه، ويعرف الجميع في الوقت الراهن ان الالازر يستطيع ان يثقب نلقيا في موزع معنني فاس جدا، وحتى في اللاس. ولكن اذا وجد امام «الابرة» نسج حي فالي ماذا تؤدي؟ فسرعة الفوء؟

لقد اظهرت التجارب، ان كل ما يجري مع الانسجة الحية بعد الاشعاع، يختلف تماما عن النتائج، مثلا، الحروق. ان التفسير لذلك، هو مدة تأثير الاشعاع القصيرة جدا والكثافة الكبيرة لطاقته. ففي هذه الحالة نريد ان نقارن بين «الابرة» الفوتية والمبفع في يد الجراح.

مجلة الهدى في شعر



مهرجان ابو القاسم الشابي

في شهر شباط المنصرم اقامت تونس مهرجانا ادبيا ضخما لشاعرها الراحل ابو القاسم الشابي اشترك فيه الادباء والشعراء : محمد فائز الفول وعيسى التاغوري من الاردن ، وصالح الخرفي وعبدالله شريط من الجزائر ، ومقبل العيسى وحسن عبدالله القرشي من السعودية ، وموسى سليمان وعمر فروخ من لبنان ، وفاضل خلف من الكويت ، وعبد المجيد بن جلون وعبد الكريم غلاب من المغرب ، ومصطفى حبيب بخري ونوفيق بكار ومحمد الطيوي واحمد خالد وفرحات الدشراوي والمجلّي التسملي وابو القاسم محمد كرو ومحمد المختار بن محمود من تونس . وقد افتتح المهرجان وزير الشؤون الثقافية التونسية الشاذلي الفليبي بكلمة ترحيبية اشاد فيها بأثر الشابي . وبعده التي الادباء العرب ، طيلة اربعة ايام ، محاضراتهم وقصائدهم ، فحللوا فيها شخصية الشابي واتاره الغائلة وفارنوه من بعض الشعراء العالميين . وكان أبرز المواضيع على الشكل التالي : « القلب في شعر الشابي » لفاضل خلف ، و « الابداع الفني في شعر الشابي » لعبد الكريم غلاب ، و « الطبيعة وحس الامومة والطفولة في شعر ابي القاسم الشابي » ووليم وردسورث « لعيسى التاغوري ، و « تندر الشابي » لعبد المجيد بن جلون ، و « الجانب الفكري في شعر الشابي » لعمر فروخ ، و « شاعر من عبقر » لحسن عبدالله القرشي ، و « شعر الشابي ثورة وغربة » لوسى سليمان ، و « نظرات في ديوان اقاني الحياة » لحمد الطيوي ، و « ابو القاسم الشابي شاعر الوطنية » لقبل العيسى ، و « الشابي والرواية » لاحمد خالد ..

والى جانب المحاضرات والقصائد هذه اقيمت في جميع أنحاء الجمهورية التونسية امسيات شعرية انتفى فيها الشعراء على اثر الشابي . كما اقيم معرض فني رسوما ولوحات مستوحاة مواضيعها من حياة الشابي . اما في « الشابة » مسقط رأس الشاعر فقد اقيمت امسية ادبية في « نادي ابي القاسم الشابي » التي فيها قصائد وخطب كان الكلام فيها على ثورة الشابي ووطنيته واله .. وكان ان زار ادباء العرب قبر الشابي واتى بعضهم كلمات قصيرة .

ولد ابو القاسم الشابي في ٢٤ شباط من عام ١٩٠٩ في قرية الشابة الواقعة على تخوم الصحراء وضمن منطقة تيج بالنخيل . وتنشأ في بيئة دينية لم ينسها عندما راح يقرض الشعر . فطمه والده ، يادى ذي بدء ، اصول الفقه وقواعد الصرف والتحو . وعندما بلغ الحادية عشرة من عمره انتقل من الرب الى مدينة تونس حيث شرع بنهل العلم ، ويختلط بالادبائين الثقافية . وبعدما انتهى دروسه الثانوية بدأ بدراسة الحقوق ويتعاطى الادب . فانضم الى « النادي الادبي » الذي كان يقوم على اكتاب نخبة من ادباء تونس ، واخذ يقرض الشعر ويعد المقالات ويكتب المحاضرات ، وهو دون العشرين . وقد ملا اسمه الاندية الادبية واداع صيته في جميع أنحاء البلاد . وقبل يمارس الاعمال الادبية باخلاص ونشاط حتى وافاه الاجل وهو في عهده الثالث . وبموته افتقد الشعر العربي ركناً من اركانه الالفاظ رغم قلة العطاء الذي تركه .

تعاطى شعر تونس الاكبر اثر الشعر معا . على ان شهرته الادبية قامت على امعائه الشجيرة التي ظهرت انه لم يتو بمطلق شاعر قديما كان ام حديثا . لقد خاض الشابي ميدان الشعر وهو مغتال من تصوير ما تقع عليه عينه ، وما يختلج في فؤاده من مشاعر واحاسيس . نظر



أبو القاسم شابي

الى الرب الذي احتضنه قبل ان يقصد المدينة ويستقر فيها ، فوفعت عيناه على طبيعة اخاذة طبعته بطابعها فيما بعد . وكان لشبانه في بيئة متعلقة بتقاليد الدين اثر ظاهر في صوفيته ، لم يبع رغم انصاره في بونقة المدينة . والمدينة امدته بكثير من المواضيع . فوفق بغربلها لتتقي الحي منها والدمس .

ترك ابو القاسم الشابي شعرا كان مرآة صادقة لمواقفه الجياشة . كان صورة جلية لنفسه التي تكبت بالاحزان وبالذكريات الباسات . ولا عجب فالشاعر عاش اياما مليئة بالنعامة والالام سواء في طفولته او في شبابه . وقد تعظم فؤاده على صغرة الحياة الجاحدة . اسممه نصف حاله بعد موت والده في ابيات تتم من فرقه من الحياة الدنيا :

يا موت قد مؤقت صبري وقصمت بالارزاء ظهري
يا موت ماذا يعني مني وقد مؤقت صبري ؟
ماذا تود ، واذا قد سودت بالاحزان فكري
وتركتني في القناتات اتنن متفردا بأمصري
واجوب صحراء الحياة ، اقول : « اين تراه قيري ؟ »
ماذا تود من المصذب في الوجود بغير زور ؟
ماذا تود من الشقي بعيشه ، التكذب ، المفسر ؟
ان كنت تطلبني فهاك الكاس ، اشربها بصبور
او كنت ترفبني فهاك السهم ، ارشقه بنحوري

وتتوالى عليه الهوم من كل حذب وصوب ، ويقض عليه الاسى بكثنا بديه ، فتتناثر اوراق احلامه ، ويقر من وجوده ، فطعمه من شبح الموت ان يأخذه الى حيث لا يدري به احد :

خذي اليك ! فقد طمئت لكاسك الكدر الامر ...
خذي فقد اصبحت ارب في فضاء الجون فيجري
خذي ، فما اشقى الذي يقضي الحياة بشل امري

وتظهر تعاسته من جديد في قصيدة اسمها « الدموع » بعد ان غدرت به الحياة وسقته علقم المذاب :

فسقمت الحياة ، الا غرارا تلاشي به اناشيد ياسي
ناولتني الحياة كاسا دعالفا بالاماني ، فما تناولت كاسي
وسقمتي من التماسه اكسا بآجرتها ، فيا قد نسيت
ان في روضة الحياة لاشوا كا بها مؤقت فانبسقي

ان الظروف القاسية التي واكبت حياة شاعرنا هي التي حملت له ايلما وايداء ، فجعلت شعره ، كل شعره ، يسبح بالصرخات بظلمة حادة ومدمية . ومن هنا بزغت فلسفته . له الشقاء بجباله ، فانتقله :

لم اجد في الوجود الا شقاء سرمديا ولذة مضطحة وورودا نموت في قبلة الاشواق ما هذه الحياة الملهة !
والخداق دب في مجتمعه ، فسلل اتاسه ، وفقد نصاب الحق :
كلما اسأل الحياة عن الحق ، تكف الحياة عن كل همسي
ونقلت عليه بتاريخ الحياة، فنز فؤاده بالجراح ، ولقت الكتابة نهاره :
لا تفتنني اغاريد الصباح
بليل الافراح !

فؤادي وهو مغمور الجراح
بتباريح الحياة الباكية
ليس تستويه الحان السرور
واغاني النور

ولفت صوب شعره ، وراح يتاجبه صبحا ومساء على يزيل الهم من
طريقه ، فتزبط ساعاته ، ولكن دون جدوى :

اتحصاه في الصباح ، لأنسى ما تقضى في امسي المفقود
واتاجبه في المساء ليلهنسي مسرا عن ظلام الوجود
ويقول ايضا :

يا شعر ! يا وحي الوجود الحي ، يا لغة الملائك
غرد ، فايامي انما تبكي على ايقاع نالذك

ردد على سمع الدجى انات فليبي الواهيه
واسكب يا جلفان الزهور دموع فليبي الداميه

فلمل قلب الليل ارحم بالقلوب الباكيه
ولعل جفن الزهر اخفك للدموع الجاربه

وفتح ابو القاسم الشابي قلبه للحب . فحمل اليه حبه ، في اول
الطريق ، الامال الطيبه والورود المذاب . وكان الجور يلا كيانه
عندما كان يرى حبيبته ، وكانت اناشيد فؤاده تفرد تشوي :
اراك فتحطو لسدي الحياة . ويملأ نفسي صباح الامل
وتتمو بصبري ورود عذاب وتغضو على فليبي المشتعل
ويقول :

اراك ، فتحقق اعصاب فليبي ونهزت مثل اشتزاز الوتر
ويجري عليها الهوى في حنو ، اتمل ، لننا ، ترضط الزهر
فتغضو اناشيد قلبي ، سكرى ، تفرد ، تحت ظلال القمر
ولملاسي نشوة لا تحسد كاتي اصبحت فوق البشر
على ان حبه لم يعمر ، فاتي ملغيا مالت وهي يرغم ، فكان مونها
فاجمة فجرت في احشائه عوامل المذاب ، وانطوى قلبه على اسي رافقه
حتى آخر لحظة من حياته ، وتلكه الفراغ والقلق والوحشة والصباع

الوفود امام ضريح الشابي في مسقط رأسه بالشابيه



والسخرية بالوجود وبكل ما في الوجود . يقول :
بالاس قد كانت حياتي كالسماء الياسمه
واليوم قد استت كتمصاق الكهوف الواجمه

قد كان لي ما بين احلامي الجميلة جدول
يجري به ماء الحبيبة طاهرا يتسلل

هو جدول قد فجرت ينبوعه في مهجتي
اجفان فاتتة ارتنيها الحياة لشقوتي
ويوجه كلامه الى الحب الذي جلب له الاما مرحلة فيقول :

ايها الحب ! انت سر بلاتي وهوموسي وروعتي وعنائتي
يا سلاف الفؤاد ! يا سم نفسي في حياتي ! يا شدي ، يا رخائي
وكما رسم صورا واضحة لحياته ، فانه رسم صورا واضحة المعالم
ودقيقة الخيوط لآنيته بلاده . لقد كان شاعر الامهم وافراحهم . وقف
بجانبهم في كل الحن والبلايا والصعاب التي تعرضوا لها . راهم
يعيشون تحت وطأة الظلم ، فاطلق هذه الصرخة :

الا ايها الظلم المصغر خدك دويدك ان العسر يبني ويهدم
الفرح ان الشيب مقض على القذى لك الويل من يوم به التشر فتشم
وراهم يفرقون في الجحيم وتتاكلهم الرجعية والافواه - ومن
ورائهم الخيل المتصبة - يعقدون اصواتهم كلما هبوا مطالبين باصلاح.
فاطلق هذه الصيحة :

كلما قام في البلاد خبيب موفقت شعبه ، يريد صلاحه
اخضعوا صوته الانبي بالصف ، امانوا صداحه ونواحه
اليسوا روحه فيص اضطرهاد فالك ، شالك ، يرد جماعه
ولا يساندون التقوي الذي يعمل على اعلاء شانهم . ان رباح الشر
والهوان يتقدم في تقاضهم . واخيرا ينعون ، ولكن بعد فوات الاوان :
الناس لا يفتشون الضي بيئهم حتى اذا ما توارى عنهم دنموا !
الويل للناس من اهوانهم ! ابدا يضي الزمان وريح التشر تتقدم
ويشال على طوحهم واحلامهم والهوامهم يتسلل عن اقدامهم وزعمهم ،
فيهمجهم ويأبهمهم . يتسلل على ايامهم الملاح . فما من مريب .
انهم اموات . وانه يدور معهم في حلقات مفرغة . اسمعه يقول في
قصيدة ميمية بعنوان « الى الشعب » :

اين يا شعب روحك الشاعر الفد شان ؟ اين الخيال ، والالهام ؟
اين يا شعب فلك الساحر الخلا ق ؟ ايسن الرسوم والانقسام ؟
ان اسم الحياة يدوي حوا ليك ، فاين الفاسر القسام ؟
اين عزم الحياة ؟ لا شيء الا الـ موت والعتم والاسي والظلام !
عمر ميت وقلب خواء ودم لا تثيره الام
وحياة تنام في ظلمة الوا دي وتتمو من فوها الاوام
اي عيش هذا ؟ واي حياة ؟ (رب عيش اخف منه الحمام)
وهل يظل يشك بمقدرة هذا الشعب ؟ هل يتي يراه ضعيف الارادة ،
محطم القوى ، خائما ذليلا ؟ هل يتي الشعب مكبل الديدن ، وراخا
نحت ثير متصميه دياره وهاتكي حرمتهما ؟

اذا انتفض الشعب ... كل شعب ... حطم الاللال ، وذل معاقل
العيودية ، واهام الدروب المظلمة بمصاييح كاشفة ، واتي يعيش كريم .
وقد عبر الشابي عن مقدرة الشعب في تغطي الحن والنواب في قصيدة
طويلة غنية المعاني ، جلية التصاوير ، تعتبر اشهر قصيدة نظم . وهي
تردد كلما عصفت بامة صروف الدهر ودب شلل الصف في عروقها ،
واشرت على شخير الهاوية . وقد سماها « ارادة الحياة » ، وفيها
تبرز خيوط وطنيته بكل جلاء وقد جاء فيها :

ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر في جوهها واتدثر
فويل لمن لم تسقه الحياة من صفة الدم المتصبر
تلك قالت لي الكائنات وحدثني روحها المستر

ويقول في نفس القصيدة :

وما هو الا تخلفك الجناح
فصدعت الأرض من فوفها .
وابصرت الكون عذب الصور
ويخاطب الطفلة مهديا متودعا :

لك الويل يا صرح الظالم من غد
اذا نهض المستضعفون وصمموا !
اذا حطم المستبدون قيودهم
ويصبوا حميم السخط ايان تعلم
يستدل من هذا كله ان الشابي كان ، بحق ، شاعر الشعب والحياة .
فما نظم من شعر دليل على انه عاش كل حياته - وان كانت قصيرة
الدى - يصور مأساها ونوابها ويؤسها وامانيها تصويرا صادقا حسياء
ويجسد حياة الشعب التونسي في شعر وطني حماسي ...

تونس

ابراهيم عبده الخوري

عبد « مجلة الاديب » الفضى

اين دولة الثقافة ؟

اطلعتني احد اصديقاتي - وهو اديب لبناني مشهور - على رسالة تلقاها ،
من مجلة رسائل عديدة مماثلة ، يطلب فيها صاحبها منه ان يهدي الى
مكتبة بلدته نسخا من جميع مؤلفاته ... هكذا على سبيل الهدية لوجه
الله ... وقد جاء في الرسالة ما نصه :

« صديقي الاديب الكبير :

وهل يفرغ الفلاح غلات اليد في غير الاهراء ؟

وهل يفرغ الغياض رقائق الابيض المحي في غير افواه الجياع ؟
وانتريا اديبا لكثير يفرغ زاد الاجيال في مكتبات عامة وخاصة ليشبع
الجميع ويشكروا ...
اود هنا ان اتقل لك شعوري كلما وفقت امام رفوف المكتبة العامة

التي انشئت في بلدة ابل السفي ، افق مفتحة من شيء من مؤلفاتك
التيه - فهل تكترمون بعض هذه المؤلفات ليكون لنا الكتاب اللبناني
الصميم والادب الخلاق الموجه » .
الامضاء : فؤاد الراسي .

سالت الصديق : ما آت فاعل ؟ قال : ان الرجل يوجه الي في طيه
من النناء والاعتجاب والافئاب ما يسمونه براءة الطلب . ومن الصعب ان
ارفضه . ولذلك سارسل اليه كتيبي وامري لله .

مسكين الاديب في دولة تدعي انها دولة الثقافة . يدفع على نشر
كتبه من ماله ، بعد ان يدفع من عراق جيبته ودم قلبه ، ثم تكون
النتيجة ما نرى .

جريدة « الحياة » بيروت

((عبده))

صدر حديثا في بيروت

معبد الشوق

المجموعة الرابعة للشاعر

فؤاد الخشن

٢ - انها منزنة

ان العقل والقلب اللذين كانا ولا يزالان يعملان فيها كيربان مهذبان
تهديا حقا لم يتح الفرصة للحرة والمعالجة بينهما ، بل كان التسليم
رائدا لهما . ومن ذلك انهما الاثران متقادا ، اتنا لم نلاحظ انحرافا فيها
ولا تطرفا الى هذه الناحية او تلك رغم التوجيه القائمة في المجتمع .
والفعل في ذلك للمعرفة الكاملة التي نالها صاحبها والتي جعلت ان تلقى
هذا القلب وتروث ذلك الفكر اشعة نيرة دافئة تهدي النفس سبيلها
الى الحق والجمال والاستمتاع بخيرات الحياة وتحولها الى سعادة
حقيقية .

٣ - انها عامة الروح والنزعة

بفضل هذه الروح النازعة الى الخدمة العامة شغل صاحبها مركزا
خطيرا في مؤسساتنا القومية والاجتماعية مع نخبة ممتازة من اصنام
البلاد ولذلك لم تكن القافية بل غريبة - دولة اذا جاز هذا التعبير -

المجلد الثاني

الزيتون في الثقافة العربية لم يكن في القرنين التاسع عشر والعشرين

1000

[illegible]

—

100

